

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

إعداد: د. زهرة بن يمينة

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون

شهادة المصادقة لمطبوع الأماي لمقياس: أدب جزائري
قديم
المستوى: السنة الثانية ماستر.
التخصص: أدب قديم
إعداد الدكتورة: زهرة بن يمينة

| مصادقة عميد كلية الأدب العربي و الفنون | مصادقة المجلس العلمي لكلية الأدب العربي والفنون | مصادقة اللجنة العلمية لكلية الأدب العربي والفنون | مصادقة رئيس القسم |
|---|---|--|---|
|  |  |  |  |

السنة الجامعية 2025/2024

السنة الجامعية: 2025/2024



جمهورية جهورية جهورية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research



جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
University of Mostaganem - Abdelhamid Ibn Badis
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts



الرقم: 40/ن ع ب ت/ك.أ.ع.ف.ج.م/2025

شهادة إدارية

بعد الاطلاع على التقريرين الإيجابيين، صادق المجلس العلمي على اعتماد
الأمالي الخاص بالدكتور(ة) : بن يمينة زهرة، أستاذة بقسم الدراسات اللغوية
والأدبية، كلية الأدب العربي والفنون والموسوم ب : أدب جزائري قديم، محاضرات
موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر، تخصص أدب قديم.

مستغانم يوم: 2025/02/ 19



مفردات المقرّر

الشعر:

- 1- تعريف المغرب: مؤسّساته وطرائقه.
- 2- نشأة الشعر الجزائري القديم.
- 3- أغراض الشعر الكبرى في العصور السياسية المتعاقبة.
 - 1.3- الشعر الوصفي.
 - 2.3- المدح السياسي
 - 3.3- الشعر الديني: (الزهد، التصوّف، المدائح النبويّة..)
 - 4.3- غرض المولديّات.
 - 5.3 غرض المؤشّحات.
- 4- ترجمات الأعلام والشعراء الجزائريين القدماء، مثل: ابن الفقون، أبو حمو موسى الثاني، الثغري التلمساني، ابن خميس..)
- 5- الخصائص الفنية للشعر الجزائري عامّة.

النثر:

- نشأة النثر الجزائري القديم.
- فنون النثر الجزائري القديم.
- الكتابة الموضوعية (الرسائل الرسمية)
- الكتابة الذاتية (الرسائل الإخوانية، والكتابة الصوفية)
- الكتابة الوصفية (أدب الرحلات)



الكتابة القصصية (المقامات)

الخطب (الدينية والسياسية)

الوصايا.

الحكم والأمثال.

10- الخصائص الفنية للنثر العربي القديم.

المعارف المسبقة:

سبق للطلبة الاطلاع على بعض مفردات المادة، في مادة (مدخل إلى

الأدب المغاربي)

الأهداف:

يكتسب الطلبة معرفة حول الأدب الجزائري القديم (شعرا ونثرا) منذ عهد

الرستميين إلى سقوط بني زيان، فنونه، وأعلامه، وأشهر نصوصه.

الكلمات المفاتيح للمادة:

الشعر الجزائري القديم، أغراض الشعر الكبرى، ترجمات الأعلام

والشعراء، فنون النثر الجزائري القديم.



مقدمة:

إنّ الاهتمام بالأدب الجزائري عامة، وفي حقه القديمة الأولى هو من صميم العناية بتراثنا اللامادي، والذي يُعدُّ مكوّنًا هويّيًا مهمًا، ولأجل هذه الغاية وردت مجموعة المحاضرات هذه، والموجهة لطلبة السنة أولى ماستر، تخصص: أدب قديم وفق المفردات المقرّرة في هذا المقياس، وقد عنيت هذه المحاضرات بعرض ونقد الأدب الجزائري شعرا ونثرا من عهد الفاتحين إلى نهاية الدولة الزيانية، وذكر قضاياها، وأعلامه، وخصائصه الموضوعية والفنية، مُستعرضين نصوصا شاهدة مأخوذة من مصادر مهمة منها: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر لمحمد بن رمضان شاوش، وغوثي بن حمدان الجزأين: الأول والثاني، وعنوان الدراية للغبريني، والبستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لابن مريم التلمساني... وغيرها من المصادر المحقّقة. إضافة إلى المقالات العلمية المنشورة في المجلات المحكمة. وقد اتبعنا في هذه المحاضرات بعض المناهج التي تتماشى وطبيعة الموضوع، فكان حضور المنهج التاريخي من أجل توثيق بعض الأحداث، وحضور المنهج الأسلوبى المعتمد في تحليل النصوص الشعرية والأدبية، وكذلك منهجي الوصف والتحليل، أما منهجية تقديم المحاضرات فقد اعتمدت على ذكر الأغراض والفنون الأدبية مع الإشارة إلى عصرها. وقد خلّص البحث إلى مجموعة نتائج دُونت في خاتمته منها: أنّ الأدب الجزائري مدونة تراثية لا مادية شهدت على فترة عميقة وأساسية من تاريخ الجزائر الثقافي.

تمهيد:

لقد نشأ الأدب الجزائري القديم في ظلّ بيئة خاصّة امتدّت قرونا زمنيّة، وشغل مساحة جغرافية مدّته بكثير من الخصائص النوعيّة في الشّكل والموضوع، وكان لهذين العاملين دور كبير في بعث التفاعل الحضاري والثقافي بين كلّ الأقاليم الواقعة على امتداد شمال إفريقيا، وقد قسّم المؤرّخون هذه الأقاليم إلى: المغرب الأدنى المسمى الآن تونس، والمغرب الأوسط الذي هو الجزائر، والمغرب الأقصى الذي هو بلاد المغرب الآن.

1- تعريف بلاد المغرب: مؤسّساته وطرائقه:

بلاد المغرب مصطلح يطلق على كلّ الأقاليم الواقعة غرب مصر، والتي تشمل شمال القارة الإفريقية، وتتضمّن حاليا البلاد الليبية، وتونس والجزائر والمغرب، وفي نسبة اسم إفريقيا يقول صاحب الممالك والمسالك: " قال قوم: إنّها إفريقيّة، أي صاحبة السّماء، وقال آخرون: سُمّيت إفريقيّة لأنّ إفريقيش بن أبرهة بن الرّأش (غزا نحو المغرب) حتّى انتهى إلى طنجة في أرض بربر، وهو الذي بنى إفريقية وباسمه سُمّيت. وقيل: سُمّيت بأفريق بن إبراهيم عليه السّلام من زوجته الثانية قطوري. وقال قوم: إنّما سُمّوا أفارقة وبلدهم إفريقية لأنّهم من ولد فارق بن مصرم. وقد زعموا أنّ إفريقية ليلية فسُمّيت بنت يافوه بن يونس الذي بنى مدينة منفيس بمصر، وهي التي ملكت ملك إفريقيا أجمع فسمي





بها"¹. ويقول "عبد الواحد المراكشي" (ت 647 هـ) في توضيح

هذا الموقع: «إنَّ حدَّ المغرب هو من طبقة النيل بالإسكندرية التي

تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب، وهو من طبقة النيل بالإسكندرية، وحدُّه مدينة سلا، وينقسم أقساما، فقسم من الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها، وأقلها عمارة، وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد ويقال أيضا بلاد الزاب الأعلى، ويلى هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدّها مدينة (تيمهرت) ويلها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدّها بلاد سلا وهي آخر المغرب"² وينقسم المغرب إلى دويلات منها: المغرب الأدنى يشمل مصر وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت عاصمته القيروان أيام حكم الأغالبة، ثم المهديّة، ثم الفاطميين، وأطلق عليه العرب المغرب الأدنى لأنّه أقرب إلى دار الخلافة، والمغرب الأوسط يمتدّ من تاهرت من وادي ملوية وجبال تازة غربا، وقاعدته تلمسان، وجزائر بني مزغنة، والمغرب الأقصى يمتدّ من وادي ملوية شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا والبحر المتوسّط شمالا.

وسمي بالمغرب الأقصى لأنّه أبعد عن دار الخلافة، ومهمّ جدا في هذا المقام التذكير بالوضع السياسي الذي عاشه المغرب الأوسط والمتمثّل في تعاقب دويلات عدّة

1- عبد العزيز بن محمد البكري: الممالك والمسالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ج2، ص 193.

2- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: المحقق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، (د.ط)، ج1، ص: 5.



بداية من فترة الفتح الإسلامي إلى سقوط بني زيان، ولقد تميّز كل عصر من هذه العصور بأنواع أدبية مختلفة سواء من حيث الشعر أو النثر، وقد استجاب بعضها لما تطلّبتّه ضرورات العصر السياسي والثقافيّة. إذا عُرِف المغرب بهذه التسمية وبهذا الامتداد الجغرافي قديماً، فهذا اصطلاح متأخّر لأنّ الاصطلاح القديم هو اسم إفريقيّة الذي كان سائداً إذ ذاك لدى البيزنطيين، وبامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي، ومنها إلى بلاد الأندلس أصبح لفظ إفريقيّة غير كافٍ لتحديد هذا المجال العظيم الذي انطلق فيه المسلمون، ثمّ بدأ لفظ إفريقيّة يتقلّص شيئاً فشيئاً، وبدأ لفظ المغرب في الظهور، وأصبح مدلول إفريقيّة مقصوراً على الإقليم الذي نتوسّطه القيروان والذي يمتدّ من طرابلس (إطرابلس) حتى بجاية أو مليانة غرباً، وصارت تُعرف إفريقيّة فيما بعد¹، ويُعدّ وجود الصّحراء والبحر من المميّزات الجيدة التي زادت موقع المغرب القديم أهميّة، بل وسهّلت له سبل التّواصل الاقتصادي والثقافي.

لقد عرف المغرب العربي اضطرابات عدّة قبيل الفتح الإسلامي وذلك بسبب سيطرة البيزنطيين على هذه السّواحل ورغبتهم في الاحتفاظ بها، وصراعهم

1- محمد زينهم محمد عزب: قيام وتطور الدولة الرّسّمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، ط1،

2013، ص: 5، 6.



مع الرومان على ذلك، إذ مارسوا نظاماً تعسّفيّاً مع الأهالي وفرضوا عليهم الإتاوات والديانة المسيحية، الأمر الذي أدى إلى انشقاق القبائل عنهم وسهّل فيما بعد دخول الفاتحين إلى شمال إفريقيا " وفي سنة 654/هـ34م حدث اشتباك بحريّ بين البيزنطيين والعرب المسلمين بسبب هجوم أسطول البيزنطيين بقيادة قسطنطين بن هرقل، على شرقي البحر المتوسط، نتيجة فتح العرب لإفريقية، ودارت المعركة بين الفريقين، وكانت نتيجتها هزيمة البيزنطيين وانتصار العرب، وقد سُمّيت هذه المعركة بـ(ذات الصواري) لكثرة صواري المراكب واجتماعها"¹.

أصبح المغرب العربي الكبير جزءاً من البلاد الإسلامية بعد الفتح الإسلامي الذي شرع فيه الفاتحون من مصر إلى شمال إفريقيا، خاصة مع الفتح الخامس لـ"عقبة بن نافع الفهري" (ت 63 هـ) الذي فتح معظم الثغور الإسلامية شمال إفريقيا بعد خروجهم عن طاعة أولي الأمر منهم "ولا شبهة أنّ الإسلام لم يستقرّ في إفريقيا منذ طرقها أول فاتح عربي إلّا يوم تقلّد ولايتها "عقبة بن نافع الفهري" ولا يوجد دليل على استقامة الدّول العظيمة القائمة على نزعة الشّعوب من إفراح المجال للعسكريين من رجالها من ذوي المواهب النادرة أمثال "عُقْبَةَ" لتنفيذ ما

1- نهلة شهاب أحمد: عقبة بن نافع الفهري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989، ص 29.

وسعته أدمغتهم الكبيرة من الخطط العظيمة للفتح والإصلاح"¹، فهو الذي عُرف عنه انتسابه لأسرة جليلة ذات باع في فنون الحرب والجهاد في سبيل الله غير أنّ هذا لا يستبعد الاضطراب الذي عرفه الشمال الإفريقي، والذي انعكس على الوضع الأدبي عامّة.

دويلات المغرب الأوسط (الجزائر):

لقد مر على حكم الجزائر قديما عدة إمارات ودويلات منذ الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط دولة الزيانيين وهي:

عهد العرب والفاطحيين: ق1 و2 و7 و8م: وهو العهد الأول الذي أسسه الفاتحون وعلى رأسهم عقبة بن نافع الفهري، دفين قرية سيدي عقبة، ببسكرة، ولم يُعرف على هذا العهد سوى أنّه أسس للعري الأساسية لدولة عربية مسلمة، وجُلُّ ما عُرف من أدب في هذا الوقت هو أدب الخطابة.

عهد الرُستّيين: ق3 و9م: هو الإمارة التي وضع أول لبناتها الإمام، "عبد الرحمن بن رستم" (ت240ه) مؤسس مدينة تيهرت، وهو كان حاكما جمع بين الدين والسياسة، طبع هذا العصر بأدبه شعرا ونثرا، واتخاذ المذهب الإباضي شريعة لهذه الدولة، وظهر في هذا العصر كثير من الشعراء والمؤرخين والناثرين أيضا.

1- عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990ه، 1410ه، ص:



عهد الفاطميين والزييرين (4-5هـ / 10-11م)

عهد المرابطين والحماديين (6هـ/12م)

عهد الموحدين (7،6هـ/)

عهد الواديين الزيانيين ومن عاصرهم من الحفصيين والمرينيين (ق 7-9هـ/13م-

15م).

المحور الأول: الشعر الجزائري القديم

- 1- نشأة الشعر الجزائري القديم.
- 2- أغراض الشعر الكبرى في العصور السياسية المتعاقبة.
- 3- الشعر الوصفي.
- 4- المدح السياسي
- 5- الشعر الديني: (الزهد، التصوف، المدائح النبوية..).
- 6- غرض المولديات.
- 7- غرض الموشحات.
- 8- ترجمات الأعلام والشعراء الجزائريين القدماء، مثل: أبو حمو موسى الثاني، الثغري التلمساني، ابن حميس..).
- 9- الخصائص الفنية للشعر الجزائري عامة.



1- نشأة الشعر الجزائري القديم:

إنّ نشأة الشعر الجزائري القديم لم تنفصل عن نشأة الأدب عامّة الذي ساهم الفاتحون في إحيائه وبعثه، إذ دأبوا على جعل اللغة العربيّة اللّغة الرّسمية " وأخذت الحركة العلميّة في الجزائر تنمو سريعا بفضل الكتّاب والمساجد وما بها من حلقات الشيوخ، حيث تُلقى محاضرات في مختلف العلوم الشرعيّة واللّغوية. وزاد الحركة سرعةً في النّموّ، تأسيس المدارس والزوايا... وكانت ترعى الحركة العلميّة الدّول التي نشأت في الجزائر، الدّولة الإباضية في تاهرت، ودولة بني حماد في بجاية وقلعتها، ودولة بني زيّان... وكان من العوامل القويّة في نشاط الحركة العلميّة بالجزائر، نزوح الأندلسيين إليها بالآلاف في القرن السّابع الهجري والحادي عشر¹، كانت هذه الجهود من أجل إحلال اللّغة العربيّة مكان اللّغة الأمازيغيّة المحليّة التي كانت سائدة قبل الفتح وظلّت كذلك بعده، ولم يستقم أمر الشعر لوحده، بل كان الاهتمام بعلم اللّغة، والبلاغة، والنّقد، وسيلة لإبراز مكانته وأهمّيّته.

1- عامل الحروب والفتن.

2- عامل الانتماء الحضاري والثقافي إلى البيئّة المشرقية، الأمر الذي جعل

كثيرا من الفنون تحاكي شكلا ومضمونا الفنون المشرقية سواء في الشعر أو النثر.

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدّول والإمارات، دار المعارف، مصر، ج10، ص6.

إضافة إلى تأثير بيئة الأندلس التي هجر كثير من علماءها إلى شمال إفريقية حاملين خلاصة العلوم العقلية والنقلية.

3- الاحتكاك الثقافي بين أجزاء المغرب الثلاثة، الأدنى والأوسط، والأقصى، كما كان المغرب الأوسط نقطة لقاء لكثير من التيارات الفكرية والعلماء أيضا "اهتم أهل إفريقية في زمن مبكر بتدوين أخبار بلدهم، وتسجيل أخبار رجالته، وتبع آثار الدول المتعاقبة عليه"¹.

2- أغراض الشعر الكبرى في العصور السياسية المتعاقبة:

إنّ الشعر فنّ إنساني يحتكم إلى الذوق ورقة العبارة وحسن اختيارها، لذلك لا يمكن الجزم بنشأة وأسباب معينة لظهور الشعر الجزائري القديم، بقدر ما يمكن الاصطلاح على تجربة إنسانية ولدت طاقة إبداعية عبرت عن مختلف الأغراض، وحاكت الموضوعات التي نظم فيها العرب منذ العصر الجاهلي كما أقرّ بذلك "ابن خلدون": "ثمّ لما كان الشعر موجودا بالطبع في أهل كلّ لسان لأنّ الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحرّكات والسواكن وتقابلهما، موجودة في طباع البشر، فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة، وهي لغة مضر الذين كانوا فحوله وفرسان ميدانه حسبما اشتهر بين أهل الخليقة، بل كلّ جيل وأهل كلّ لغة من العرب المستعجمين والحضر أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله

¹ من مقدمة رياض النفوس.



ورصف بنائه على مبيع كلامهم¹ لذلك نجد في شعر أهل المغرب عامّة أغراض الشّعْر نفسها التي عرفت عند أهل المشرق، بل عرفت هذه الأغراض نوعاً من التّجديد، بل ويوجد منها من كانت لها الرّيادة بحكم المرجعيّات التي احتكم إليها هذا الشّعْر، فنجد الشّعْر الدّيني قد كثر تناوله من قبل الشّعراء الصّوفيّة، والزّهاد، ومادحي الرّسول ﷺ، وكان شعر المدح السياسي على نظيره يصف علاقة المادح بالممدوح، ويرد كلّ من غرض الوصف، والرّثاء، والغزل والموشّحات.. كأغراض لا يمكن فصلها عن صميم الحياة الأدبية في المغرب الأوسط، وعلى الرّغم من توفّر الروايات التي تصنّف الشّعْر إلى عامّي وفصيح، إلّا أنّ للفصيح منه الحظّ الوافر، والتّطور في الشّعْر رافق العناية باللّغة العربيّة وعلومها الذي بدأ منذ عهد الرّسّامين.

1- ابن خلدون: المقدّمة، تح: محمد الاسكندراني، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي (د.ط) 2012 ص:



3 - الشعر الوصفي:

يُعدُّ الوصف غرضاً شعرياً متأصلاً في الأدب العربي بحكم ارتباط الذائقة الشعرية به عموماً، وبحكم أنّ وصف الأشياء والأماكن والعواطف والناس هو من صميم الشعر وعمل الشاعر، لذلك نجد هذا الأخير كلّها نظم موضوعاً إلاّ وقام بوصف ما يتطلّبه، ويقول "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) في هذا الباب: "الشعر إلاّ أقلّه راجع إلى الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه، وليس به، لأنّه كثيراً ما يأتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه، أنّ هذا إخبار عن حقيقة الشيء، وأنّ ذلك مجاز وتمثيل"¹، وجمالية الوصف تمثّل في حسن التصوير حتّى أنّه يقرب السمع بصراً كما قال ابن رشيق²، وجلُّ القصائد العربية منذ العصر الجاهلي تضمنت الوصف وأبدع فيه الواصفون سواء في المعلقات، أو في الأغراض المعروفة. وإذا استقرّنا الشعر الجزائري القديم نجد أصنافاً من الوصف تفاضل فيها قائلوها حتّى ظهرت براعة كلّ منهم فيما يصف، وللإمام الأفلح الرستمي التاهرتي (ت240هـ) قصيدة يصف فيها العلم وفضله وأهله قائلاً:

العلمُ أبقى لأهلِ العلمِ آثاراً*** وليلهمْ بشموسِ العلمِ قد أنارا
يحي به ذكّهمْ طولَ الزمانِ وقد*** يريك أشخاصهم روحاً وأبكارا
حي وإن مات ذو علمٍ وذو ورعٍ*** ما مات عبدٌ قضى من ذلك أوطارا

1- ابن رشيق القيرواني: العمدة في نقد الشعر وادبه ونقده، ج2، ص: 294.

2- المصدر نفسه، ص: 295.

وذو حياةٍ على جهلٍ ومنقصةٍ***كَيْتٍ قد ثوى في الرّمس أعضارا¹

لقد زاد هذا الوصف من قيمة العلم وفضله على أهله، والبراعة في هذا الفن تُرغب الغير فيه وتجعلهم من طلابه.

يشمل فنّ الوصف وصف الأخلاق أيضا، مثل اللوحة الفنية التي يرسمها إبراهيم بن أبي بكر التلمساني، مولده نحو 299هـ نزيل تلمسان ويكنى "أبا إسحاق ويعرف بالتلمساني"، كان فقيها عارفا، أدبيا وشاعرا محسنا في كلّ ما يقول، وقال يصف الأغراض الذميمة في الناس:



الغَدْرِ فِي النَّاسِ شِيْمَةٌ سَلَفَتْ***قَدْ طَالَ بَيْنَ الْوَرَى تَصَرَّفُهَا
مَا كُلُّ مَنْ قَدْ سَرَتْ لَهُ نِعَمٌ***مِنْكَ يَرَى قَدْرَهَا وَيَعْرِفُهَا
بَلْ رُبَّمَا أَعْقَبَ الْجَزَاءُ بِهَا***مَضْرَةٌ عَرَّ عَنْكَ مَضْرِفُهَا
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ كَيْفَ تَعَطِفُ بِال***نور على البدرِ وهو يكسفها²

وهذا من باب الوصف المعنوي الذي لا يحضر إلا في ذهن الشاعر فينجح على إثره في تصميم صورة مكثفة من الأخيلا ويحوّلها من المجرد إلى المحسوس، وليس كلّ الشعراء متفوّقين في إجادة وصف الأشياء، لأنّه صنعة تحتاج مراسا ودقّة، فمن الشعراء من يبالغ فيخرج الموصوف عن طبيعته، ومنهم من يُقلُّ ويختصر فنزع عنه ما يستحقّ من وصف، وبرع في الوصف أيضا "ابن رشيق

1- عبد الله الباروني النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، (د.ط.ت.ش)، ص 190.

2- الحفناوي أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بديار: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة ببيير فونتانا الشرقية، الجزائر، (د.ط) 1334هـ، 1906م، ج1، ص 10 .

القيرواني" (ت456ه) حين قارع الشعراء في هذا الغرض ونسج فيه حسب قوامه

النقدي، الذي يمنح لكل شيء صفاته التي يستحقها، إذ يقول في وصف

زرافة أتت هدية من مصر إلى الملك:

وَأَتَيْتَكَ مِنْ كَسْبِ الْمُلُوكِ زَرَافَةً *** شَتَّى الصِّفَاتِ لِكُونِهَا أَثْنَاءُ

جَمَعَتْ مَا حَكَتْ فَتَنَاسَبَتْ *** فِي خَلْقِهَا وَتَنَافَتْ الْأَعْضَاءُ

تَحْتَهَا بَيْنَ الْخَوَاتِقِ مِشْيَةً *** بَادٍ عَلَيْهَا الْكِبْرُ وَالْحِيَلَاءُ

وَتَمَدُّ جِيدًا فِي الْهَوَاءِ يُزِينُهَا *** فَكَأَنَّهُ تَحْتَ الْلِوَاءِ لِوَاءُ

وَحُطَّتْ مَا خَرُّهَا وَأَشْرَفَ صَدْرُهَا *** حَتَّى كَأَنَّ وَقُوفَهَا إِقْعَاءُ¹

وهذا النوع من وصف المحسوس يدلّ على تفوق الشاعر في الملاحظة

والنباهة اللتين تجعل العين ناقلا دقيقا وأميناً، وتمنحان هذا الغرض الشعري قسطاً

وافراً من التخيل. وفي الموضوع نفسه وصف أبو علي بن عمر بن الأشيري، "طائر

سيق إلى الخليفة الإمام أمير المؤمنين تكلم بكلام عليه واتفق مع ذلك أن شبل

أسد دخل القبة المباركة التي كانوا فيها ومجلسهم قد احتفل فلم يجلس مع أحد إلا

معهم رضي الله عنهم فقال أبو علي عمر (رمل):

أَنْسَ السَّبْلُ ابْتِهَاجًا بِالْأَسَدِ *** وَرَأَى شِبْهَ أَبِيهِ فَقَصَدَ

وَدَعَا الطَّائِرُ بِالنَّصْرِ لَكُمْ *** وَبِتَأْيِيدِ فَكُلُّ قَدْ شَهْدُ²

1- ابن رشيق القيرواني: العمدة في نقد الشعر وادبه ونقده، ج2، ص:289.

2- أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، تح: عبد القادر

محداد، بيروت، 1939، ص59، 60.

مثل "ابن نحميس التلمساني" (ت708هـ) علما بارزا من أعلام الوصف الذي تجانست فيه أسس الإبداع، خاصة وأنه اعتبر الطبيعة بكل عناصرها من بروق، وشمس، وأقمر، ووديان، وجمال حاضرة تلمسان الأخاذ موردا أساسية بهما يبدع في إنشاء الصور مثل قوله:

سَلِ الرَّيْحَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ السُّفْنَ أَنْوَاءُ *** فَعِنْدَ صَبَاهَا مِنْ تَلْمِسَانَ أَنْبَاءُ
وَفِي خَفَقَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ *** إِلَيْكَ بِمَا تُنْبِي إِلَيْكَ إِيمَاءُ¹

وبرع "ابن نحميس" في توليف الصور، وحسن التصوير الذي يحول المتخيل إلى لوحة مشخصة وهذا من وظيفة الوصف "تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة الجمال وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق، إلى غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلى ذوق فني وتتطلب الإحاطة بنواحيها والسمو إلى آفاقها وجدانا ومشاعرا وإحساسا مرهفا وذوقا سليما"² وعلى نظير تلمسان، كانت باقي مدن الجزائر ملهمة للخيال الذي يصف محاسنها مثلما أنشد في ذلك "الحسن بن الفكون القسنطيني" في القرن السابع الهجري في وصف مدينة الناصرية (بجاية) قائلا:

دَعِ الْعِرَاقَ وَبَغْدَادَ وَشَامًا *** فَالْناصِرِيَّةُ مَا إِنْ مَثَلَهَا بَلَدُ
بِرِّ وَبَحْرِ وَمَوْجٍ لِلْعِيُونِ بِهِ *** مَسَارِحُ بَانَ عَنْهَا أَلْهَمُ وَالتَّكْدُ

1- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص 539.

2- عبد العظيم علي حفناوي: الوصف في الشعر العربي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، (د.ط.ت.ش)

ج1، ص:422.

حَيْثُ الْهَوَىٰ وَالْهَوَاءُ أَلْطَقُ مُجْتَمِعٌ *** حَيْثُ الْغِنَى وَالْمَنَىٰ وَالْعَيْشَةُ الرَّغْدُ
فَيْثُمَا نَظَرَتْ رَاقَتْ وَكُلُّ نَوْءٍ *** حَيِّ الدَّارِ لِلْفِكْرِ لِلْإِبْصَارِ نَتَقْدُ¹

كما نال وصف المعارك حظًا من تصوير الشعراء الذين نجحوا في تحويلها إلى
شهادات مكتوبة وخالدة أيضا، ولنا في شعر "أبي حمو موسى
الزياني" (1388هـ) أحسن مثال:



كَّرَرْنَا عَلَيْهِمْ كُرَّةً بَعْدَ كُرَّةٍ *** وَقَدْ شَعَلَتْ لِلْحَرْبِ نِيرَانُ جَاحِمِ
بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَمُّ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ *** وَطَعَنَ مَضَىٰ بَيْنَ الْكُلَىٰ وَالْحِيَازِمِ
فَهَذَا أُسِيرُ صَفْدَتُهُ يَدُ الْوَعَى *** وَهَذَا قَتِيلٌ فِي عَجَاجِ الْمَصَادِمِ
فَطُوبَىٰ لِعَبْدِ الْوَادِ عِنْدَ إِزْدِحَامِهِم *** لَقَدْ جَدَلُوا فِي الْحَرْبِ كُلِّ مُرَاحِمِ
وَجَالَتْ خِيُولُ الْعَامِرِيَّةِ عِنْدَهَا *** كَأَسَدِ الشَّرَىٰ فِي مَوْجِهَا الْمُتَلَاظِمِ²

وخلاصة القول حول شعر الوصف أنه يعتمد على الموضوع الذي هو مركز
الوصف، ثم ينسج الشاعر له موصوفات عدة، قد تكون بتعبير حقيقي أو بآخر
مجازي يرفع به الشاعر موصوفه إلى عالم متخيل تطغى فيه الصورة الشعرية.

1- الغبريني: عنوان الدراية، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص
334، 335.

2- أبو زكريا يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: بوزيان الدراجي، الجزائر،
2007، ج2، ص: 90.



4- المدح السياسي:

غرض المدح السياسي من الأغراض الشعريّة الغنائية المتأصّلة في التراث الشعري العربي، ولا تخفى طبيعته التي كانت بين قائل له بغرض المدح لذاته، وبين متكسّب يبتغي التقرب من الملوك، وفي كلّ عصر نصادف مجموعة من الشعراء تفتنّ في هذا الغرض محاكاة لأغراض الشعر في العصر العباسيّة، فالشعراء في هذا الغرض مثل وسائل الإعلام التي تعمل على تصوير ما في الدولة. والجزائر قديماً عرفت شعراء ذاع صيتهم في هذا المجال فانهجوا طرقاً عدّة في التعبير عن ممدوحهم، فكان منهم مثلاً: (أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام التّادلسي) الذي يقول في مدح أحد الملوك من بحر الكامل:

شَمْسُ السَّعَادَةِ لَا سَنَى النَّبْرَاسُ *** حَلَّتْ بِأُفُقِ سَيِّدِ النَّاسِ
مِنْ مَعَشَرٍ بَذَلُ النَّوَالِ شِعَارُهُمْ *** وَهُمْ الْأَسْوَدُ لَدَى احْتِرَامِ النَّاسِ
يُذْكَونَ نِيرَانَ الوَعْيِ بِأَسِنَّةٍ *** وَلَدَى الْقِرَى يُذْكَونَ بِالْأَقْبَاسِ
هُوَ الرَّبِيعُ وَزَهْرُ سَعْدِكَ أَقْبَلًا *** يَتَّصَحَّحَانِ بِرَوْضَةِ مَقْيَاسِ
فَاهِنًا بِشَمْسِ الدُّجَنِ يَا قَمَرَ الدُّجَى *** وَأَنْعَمَ بِطِيبِ العَيْشِ وَالْإِينَاسِ
وَالْبِسِ رِدَاءَ الفَخْرِ جَرِّ ذَيْلَهُ *** أَنْتَ الْمُحَلَّى بِالْعُلَى وَالْكَاسِ¹

فالمدح هنا لا يقتصر على الملك فقط، بل وعلى نسبه وقبيلته اللذين يُعدّان علمين في البذل، والشاعر في هذا المقام يضيف على ممدوحه مجموعة من الصفات

1- الغبريني: عنوان الدرّاية، ص: 334، 344.

المميّزة وذات الوقع في النّفس، ويتخيّر مقارنته مع أجمل ما خلق الله كأن يشبهه بالنّور عند توظيفه للحقل الدّلالي ذي المفردات التالية: (الشمس، القمر، السّنى، الربيع، زهر) كما أنّه يضيف عليه صور البطولة واقتحام الصّعب من خلال المفردات التالية: (الأُسود، نيران الوغى، بأسنة)، ولعلّ الكيفية التي تصاغ بها المدحيّات تتشابه وتختلف من قصيدة لأخرى "وكان الشعراء حينئذٍ أشبه بالمراسلين الحربيين لعصرنا، فهم ما يزالون يوردون على مسامع الشعب أخبار معاركهم وما يذيقون الأعداء من بأسٍ شديد، مُصوِّرين ذلك في مدائح طنانة لهم يُجسّدون فيها المعارك"¹، فالشّاعر في هذا الغرض هو مؤرّخٌ وشاعرٌ ولسان الخلافة.

من المداحين من أسبغوا على ممدوحهم كلّ صفات الكمال، وهنا يتجلّى لنا النوع الذي لا يتغنّى من أجل التّكسّب، بل إعجابا بالأخلاق والفضائل الإنسانية التي تشيع نوعا من الروابط بين النّاس وتلغي الفوارق التي عدّت نسقا مضمرا في شعر المدح" ومن عوامل انتشار المديح في العصور الأدبية الأولى، وفي مجتمعات الصّحراء، تلك المقدّسات التي كانوا يلتزمون بها من ضيافة ونجدة وحسن جوار والثّار الذي كان يلتزم به كل عربي ويؤدّي فروضها كاملة مهما يكن شأنه. وكان قضاء هذه الموجبات يترجم في معظم الأحيان مديحا للغير أو نفرا بالذّات. ونتيجة لذلك كان المديح في أوّل عهده مدرسة أخلاق تعمل على بلورة المثل العليا

1 - شوقي ضيف: الشعر وطابعه الشعبيّة على مرّ العصور، دار المعارف، ط2، ص: 96،97.

وترسيخها، وحظّ النَّاس على تشجيعها واحتمال كلّ ما نتطلّبه من حزم وصبر
وشدّة، وهم عندما يتوجّهون إلى ممدوح تتوافر فيه هذه الفضائل إنّما يجعلونه مثلا
يحتذى ورجلا كاملا تتجسّد في شخصه هذه المثل والفضائل وتنبلور¹ وهذه
الفضائل نجدها في قصيدة أوردتها الغبريني في عنوان الدّراية لأحد الشعراء الذين
رُويَ له عنهم:

وَدَعْتُ وَدِيعَةً لَدَى حَاكِمِ الْهَوَى *** وِلي للهوى قلب مطيع وسامعُ
ولا حاكم أرضاه بيني وبينها *** سوى ملك دهري له اليوم طائعُ
يدافع عني الضّيم قائمُ سيفه *** إذا عزّ من للضّيم عني يدافعُ
هو الكامل الأوصاف والملك الذي *** تشير إليه بالكمال الأصابعُ
ويض أياديه الكريمة في الوري *** قلائد في الأعناق هنّ الصّنائعُ
ويوماه ويوماه اللذان هما *** إذا جمعت غلب الملوك المجامع
بأسيافه في الأرض هدّت كئاس *** وشيد للإسلام فيها جوامع
كئابه منصوره بكئاب *** من الملاء الأعلى وجبريل وازع²



فالملك الممدوح في هذه القصيدة يأخذ صفات جليّة، ووقارا يحفل بهما
على سائر الملوك. وخلاصة القول في غرض شعر المدح السياسي في الأعصر
الأدبيّة الأولى في الجزائر، أنّه حاكي إلى حدّ كبير نظيره في المشرق العربيّ سواء
في الأغراض أو المواضيع، وهذا دليل على أنّ هذا الغرض ليس مقتصرًا على

1- إيميل ناصيف: أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1992، ص: 13.

2- الغبريني: عنوان الدراية، ص: 276.

عصر بعينه، بل هو متجدد ومستمر ما استمر وجود نظام حكم ورئاسة، ووجود
المادحين.



4- الشعر الديني:

✓ تعريف الشعر الديني:

يُصطلح عامّة النّقاد والأدباء على أنّ بدايات الشعر الديني في الجزائر
عُرِفَتْ مُتزامنةً والبعثة المحمّدية التي أذكت الشعر بالمبادئ الدينية مثل الزّهد،
والتّصوّف، والأمداح النبوية، والمجازيات، والنّجديات، والتضّرع، والدّعاء..
إضافة إلى أنّ الشعر الديني كان لسان حال الفرق الإسلامية وهي تحاول الدّفاع
عن مكانتها، وهذا إن دلّ فإنّه يدلّ على البعد السياسي الذي يمثّله.

✓ شعر الزّهد:

يعدّ شعر الزّهد من الأغراض القديمة في الأدب العربي، وعُرف
قبل ذلك سلوكا عند الرّسل والأنبياء والصّحابة والتّابعين، فهو دعوة أخلاقية تنو
إلى السموّ بالنّفس الإنسانية وغرس القيم فيها وهو "التّرك والإعراض عن المزهود
فيه، وبدايته التّرك والإعراض وتمكّنه الاستئناس بتركه، ونهايته دوام نسيانه حتى
لا يخطر بالبال، ونهايته العظمى احتقار الزّهد والمزهود فيه فلا يرى الزّاهد شيئا
ولا يلتفت إليه"¹ ولعلّ الظروف التاريخية التي عاشها المغرب الأوسط آنذاك
واحتكاكه مع التيارات المشرقية جعلته يستقبل جميع أنواع الشعر بما فيها شعر

1 - أيمن حمدي: قاموس المصطلحات الصوفية-دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام

خاتم الأولياء، مكتبة عبده غريب، القاهرة، (د.ط) 2000، ص: 74.

الزهد الذي كان منتشرًا في المشرق وذاع على لسان شعراء كثير منهم " وقد امتدت نزعة الزهد إلى شعراء الأندلس، الذين لم يتركوا غرضًا من الأغراض الشعرية التي ظهرت في المشرق إلا وطرقوه وتفننوا في موضوعاته، ولكنهم فاقوا المشاركة في غرض الزهد من حيث غزارته وتوليد معانيه ورسم صورته¹ وبالتالي عدّ المورد المغربي والأندلسي عاملين مهمين في إثراء حركة الزهد في المغرب الأوسط، ويمكن القول فضلًا عن ذلك عن العوامل المساعدة على ظهور الزهد في المغرب الأوسط أنها استمدت أفكارها وتأثرت إلى حدّ كبير بالتطورات الزهدية والصوفية التي عرفتها مدينة القيروان قبل خرابها من طرف القبائل الهلالية، وقد نتج عن هذا الارتباط ظهور تيارين زهدين: تيار يعتمد المجاهدة العلمية من خلال المرابطة على الثغور والسواحل... وتيار زهد أنصاره في الدنيا واعتكفوا على مجاهدة أنفسهم عن طريق الصيام والقيام والمكابدة على نشر العلم بين المتدربين... إضافة إلى استقلالية حركة الزهد في سياق الصراع بين الحماديين والقبائل الهلالية الزاحفة من إفريقية والحماديين وقبائل زناتة والمرابطين في الناحية الغربية².

لقد برع كثير من الشعراء في غرض الزهد وأمثالهم: "بكر بن حماد التاهرتي" (ت296هـ) الذي يعدّ "أبا عتاهية" المغرب ويعود سبب زهده إلى مقتل ابنه من

1- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة، بيروت 1976، ص 220.

2- ينظر: الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين 12 و 13 الميلاديين (نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، شركة دار الهدى للطباعة والنشر، مليلة (د.ط.ت.ش) ص: 54.

طرف قطاع الطرق، نخلّف ذلك ألما في نفسه كانت نتيجه العزوف عن الدنيا،
وقد انفراد ديوانه (الدرّ الوقاد) بقصائد في الزهد، ويقول في ديوان (السفر من
غير زاد) :

نَهَارٌ مُشْرِقٌ، وَظِلَامٌ لَيْلٍ *** أَلْحَا بِالْبَيَاضِ وَبِالسَّوَادِ
هَمَّا هَدَمَا دَعَائِمُ عُمُرِ نُوحٍ *** وَلَقَمَانِ وَشَدَادِ وَعَادِ
فِيَا بَكْرُ بْنُ حَمَادٍ تَعَجَّبُ *** لِقَوْمٍ سَافَرُوا مِنْ غَيْرِ زَادِ
تَبَيُّتُ عَلَى فِرَاشِكَ مُطْمَئِنًّا *** كَأَنَّكَ قَدْ أَمِنْتَ مِنَ الْمَعَادِ¹



إنّ تغير أحوال الدنيا وعدم استقرارها هو مبعث على الزهد فيها، و "بكر بن
حماد" يذكر المواضيع التي تكون عاملا لمشروعية الزهد مثل ذكر الموت والتفكير في
حتميته كما ورد في قصيدته (ذكر الموت):

لَقَدْ جَمَحَتْ نَفْسِي فَصَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ *** وَقَدْ مَرَقَتْ نَفْسِي فَطَالَ مُرُوقُهَا
فِيَا أَسْفِي مِنْ جُنْحِ لَيْلٍ يُقُودُهَا *** وَضَوْءِ نَهَارٍ لَا يَزَالُ يُسُوقُهَا
إِلَى مَشْهَدٍ لَا بَدَّ لِي مِنْ شُهُودِهِ *** وَمِنْ جَرَجِ لِهَوْتِ سَوْفَ أَذُوقُهَا
سَتَا كُلُّهَا الدِّيدَانُ مِنْ بَاطِنِ الثَّرَى *** وَسَيَذْهَبُ عَنْهَا طِيبُهَا وَخُلُوقُهَا
مَوَاطِنٌ لِلْقِصَاصِ فِيهَا مَظَالِمٌ *** تُؤَدِّي إِلَى أَهْلِ الْحَقُوقِ حَقُوقُهَا²

1- بكر بن حماد: الدرّ الوقاد من شعر بكر بن حماد (الديوان)، تح: محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية

بمستغانم، ط1، 1966، ص: 76.

2- المصدر نفسه، ص: 78.

ويقترن ذكر الموت عند الزاهد بذكر القبور أيضا لأنها تحدّ من الطمع في الدنيا مثلها قال في قصيدة (وقفة بالقبور):

قَفْ بِالْقُبُورِ فَنَادِ الْهَامِدِينَ بِهَا***مِنْ أَعْظَمِ بَلِيَّتِ وَأَجَادِ
وَقَوْمٍ تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ بَيْنَهُمْ***مِنَ الْوِصَالِ وَصَارُوا تَحْتَ أَطْوَادِ
رَاحُوا جَمِيعًا عَلَى الْأَقْدَامِ وَابْتَكُرُوا***فَلَنْ يَرُوحُوا وَلَنْ يَغْدُو لَهُمْ غَادِ
وَاللَّهُ لَوْ رَدُّوا وَلَوْ نَطَقُوا***إِذَا لَقَالُوا مِنْ أَفْضَلِ الزَّادِ¹

ومن الشعراء الزهاد الذين عرفوا بالزهد نجد "أبا حمو موسى الزياتي الثاني" الذي كان شعره مدرسة إنسانية متكاملة، يقول في إحدى قصائده من بحر المتدارك التي يحاكي فيها قصيدة البردة للبصيري:

نَامَ الْأَحْبَابُ وَلَمْ تَمَّ***عَيْنِي بِمُصَارَعَةِ النَّدَمِ
وَالدَّمْعُ تَحَدَّرَ كَالدِّيمِ***جَرَحَ الْخَدَّيْنِ فَوَا أَلَمِ
وَزَجَرَتْ النَّفْسَ فَمَا أزدَجَرَتْ***وَنَهَيْتُ الْقَلْبَ فَلَمْ يَرُمْ
وَنَذِيرُ الشَّيْبِ قَدْ وَافَى***وَحُلُولُ الشَّيْبِ مِنَ الْمَهْرَمِ
وَالعُمُرُ تَوَلَّى مُنْصَرِمًا***أَهٍ لِلعُمُرِ الْمُنْصَرِمِ
وَكَذَا الْأَيَّامُ لَهَا دَوْلٌ***وَلِيَالِي الدَّهْرِ كَمَا الْحَلْمِ
وَالدَّارُ تَغْرِبُ بِسَاكِنِهَا***وَيُحِ الْمَغْرُورِ بِهَا النَّهْمِ
يَارِبِّ! ذُنُوبِي قَدْ عَظُمَتْ***فَامُنُّنٌ بِالْعَفْوِ لِمُجْتَرِمِ²



1- المصدر السابق، ص: 80.

2- ابن خلدون: بغيّة الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج2، ص 105.

وعلى العموم فإنّ شعر الزهد قد تناول بدقّة الأمور التي تجعل الإنسان مقتنعا بالزهد راضيا به مبدأ إسلاميا وأخلاقيا يسمو بالنفس عن الرذائل والمتع العارضة، كما يمكن القول أنّ الشعراء الجزائريين القدامى قد أبدعوا في هذا النوع من الشعر ليس اقتداءا بالمشاركة فقط، بل لأنّه غرض يحمل قيما أيضا "نزعة الزهد لدى المسلمين هي في أصلها قيمة من قيم الإسلام الخالصة، لكن بعد الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم من الشعوب، تسربت إلى الزهد الإسلامي بعض الخصائص من الأديان الأخرى، ولا سيما زهد المسيحية التي كانت منتشرة عند السريان في بلاد الشام وشمال العراق وأقباط مصر"¹ واختلط هذا الغرض بشعر التّصوّف حتّى أصبح يُعتبر شعرا واحدا رغم الفوارق الموضوعية والفنية بينهما والتي سنأتي على ذكرها لاحقا.

✓ شعر الوعظ والإرشاد إلى مكارم الأخلاق:

يُعدُّ هذا النوع من الشعر من صميم الشعر الدينيّ لأنّه يحثّ على مكارم الأخلاق التي حثّ عليها الدين الإسلاميّ والسنة النبويّة الشريفة، وبما أنّ عقيدة الشعراء الجزائريين القدامى هي إسلامية سنية بحتة، طفقوا يتغنّون بكثير من انحصال الشريفة والحثّ عليها، بل وجعلوا الاقتداء بالشيوخ والصالحين سبيل ذلك، ومثال هذا قول إبراهيم التازي، نزيلُ وهران (ت896هـ) في قصيدته المسماة بالزيارة:

1- محمد عباسة: نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوربية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد1، 2004، ص: 10.

زِيَارَةَ أَرْبَابِ التَّقَى بِرَّهْمٍ يَبْرِي*** وَمِفْتَاحِ أَبْوَابِ الْهُدَايَةِ وَالْخَيْرِ
 وَتَحَدَّثَ فِي الْقَلْبِ الْخَالِي إِرَادَةً*** وَتَشْرَحُ صَدْرًا ضَاقَ مِنْ سِعَةِ الْوِزْرِ
 وَتَنْصُرُ مَظْلُومًا وَتَرْفَعُ خَامِلًا*** وَتَكْسِبُ مَعْدُومًا وَتُجْبِرُ ذَا كَسْرِ
 وَتَبْسُطُ مَقْبُوضًا وَتَضْحَكُ بَأْيَا*** وَتَرْفَعُ بِالْبَدْلِ الْجَزِيلِ وَبِالْأَجْرِ
 عَلَيْكَ بِهَا فَالْقَوْمَ بَاحُوا بِسِرِّهَا*** وَأَوْصُوا بِهَا يَا صَاحِبَ فِي السِّرِّ¹
 فهذا النوع من الشعر يتخذ من الصلحاء رمزا للهداية وصلاح النفس،



ومكارم الأخلاق.

✓ الشعر الصوفي:

قبل التطرق إلى طبيعة الشعر الصوفي وجب الوقوف عند طبيعة المصطلح، فالبحث في الأصل اللغوي لكلمة (التصوّف) في المعاجم العربية يحيلنا على بعض الكلمات ذات الاشتقاقات المختلفة التي تعني بعضها أنّ التصوّف ذو صلة بالصّوف ولبسه كما ورد في لسان العرب "صوف: الصّوف للضّان وما أشبهه؛ الجوهري: الصّوف للشاة والصّوفة أخصّ منه. ابن سيده: الصّوف للغنم، واجمع أصواف... وكبش أصوف على مثال فعل، وصائف، وصاف، وصاف، وصوفاني، كلّ ذلك كثير الصّوف، والصّوفانة بقلة معروفة وهي زغباء قصيرة، وأخذ بصوفة رقبتة، وصوفها: وهي زغبات فيها، وقيل: هي ما سال في نقرتها، التّهذيب: وتسمى زغبات القفا صوفة القفا"² كما ارتبطت معاني بعض الاشتقاقات

1 - ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر أولياء تلمسان، ص 481

2 - ابن منظور: لسان العرب، ج9 [باب الفاء، فصل الصاد] ص: 199.

من هذا المصدر بالعبادة والزهد "تَصَوَّفَ، تَنَسَّكَ أو ادَّعَاهُ، وآلُ صوفان كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون، ولعلَّ الصَّوْفِيَّةُ نُسِبَتْ إليهم، تشبيها بهم في التَّنَسُّكِ والتَّعَبُّدِ، أو إلى الصَّفَةِ فيقال مكان الصَّفِيَّةِ بقلب إحدى الفائين واوا للتخفيف، أو إلى الصَّوْفِ الَّذِي هو لباس العباد وأهل الصَّوامع... والأخير هو المشهور"¹ وورد في لسان العرب تعريفا لأصل هذه الكلمة محيلا هو الآخر إلى معنى خدمة البيت والمحيج، وقد استدللَّ صاحب هذا المعجم برأي "الجوهري" و"ابن سيده" في قوله "والصَّوْفِيَّةُ من ولي شيئا من خدمة البيت وهم الصَّوفان. الجوهري: وصوفة أبو حي بن مضر وهو الغوث بن مر أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاجَّ في الجاهلية من منى، فيكونون أول من يدفع"² فالَّذِي نستنتجه من دلالات الأصول اللغوية لمادَّة (صَوَّفَ) هو العبادة، والاستقامة، والارتباط الروحي بالبيت وخدمة أهله، وهي صفات يتحلَّى بها أولو الصَّلاح من النَّاسِ.

✓ ظروف انتشار التَّصَوُّفِ في المغرب الأوسط:

لقد تحكَّمت عدَّة عوامل في انتشار التَّصَوُّفِ في المغرب الأوسط، ويمكن تصنيفها إلى عوامل دينية، وسياسية، واجتماعية، فمن العوامل الدينية يمكن عدَّ الزَّهد أهمَّها نظرا لتداخله مع التَّصَوُّفِ فهو قيمة الأخلاقية تُقوِّم السلوك

1 - السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج24، [باب الفاء، فصل الصاد]، ص:42.

2 - ابن منظور: لسان العرب، ج9 [باب الفاء، فصل الصاد]، ص: 200.

الفردية، إضافة إلى العوامل الاجتماعية التي كانت عرفت بالفقر والعوز، أما العوامل الثقافية فيعتبر تأثر المغاربة بكتاب الإحياء في علوم الدين لـ"أبي حامد الغزالي" أحد أهم العوامل المساعدة في انتشار التصوف، ولقد ظهر الشعر الصوفي في عدة أغراض شعرية منها: التضرع والمناجاة، والشعر الصوفي الفلسفي.

يمثل الرمز الموضوعي محورا مهما في الفكر الصوفي" هي الموضوعات التي ينطبق عليها مصطلح (أيقونات) في لغة السيميائيين لعلاقة المشابهة التامة بين ما تدلّ عليه الموضوعة في تفاعل مفرداتها وتظايرها في واقع العيان وبين المتصور الدلالي الصوفي"¹ فهو يحضر ممثلا في رمزية الحب بأشكاله جميعها، ورمزية الخمر والسكر الصوفيين، والرموز الطبيعية التي تخلق عوالم متفرّدة في الدلالة والمعنى، والشعر الصوفي عموما يحتفي بكثير من هذه الرموز مثل المرأة والخمر والمحبة والتي تدلّ على الحضرة الإلهية أو ذات الله تعالى، يقول "أبو زكرياء بن محبوب القرشي السطيفي" (ت 677هـ/1278م) كان من المتعبدين الزهاد والأولياء، رحل إلى المشرق ولقي مشائخ واقصر على أبي الحسن الحرّالي واستفاد منه علم الظاهر والباطن:

جَلَّتْ لَكَ لَيْلَى مِنْ مَثْنَى نِقَابِهَا***طَرِيقًا وَأَبَدَتْ لِمِحَّةٍ مِنْ جَمَاهَا
فَطَبَّتْ بِهَا عَيْشًا وَتُهُتُ لَذَاذَةً***وَفِيَاكَ الْإِمْنَاعُ بَرْدٌ ظِلَالِهَا
فَكَيْفَ تَرَى لَيْلَى إِذَا هِيَ أَسْفَرَتْ***ضَحَاءً وَأَبَدَتْ وَأَفْرًا مِنْ دَلَالِهَا

1- مختار حبار: شعر أبو مدين شعيب بين الرؤيا والتشكيل، (د.ط.ت.ش) ص: 23.

وَكَيْفَ بِهَا إِنْ لَمْ يَغِبْ عَنَّا شَخْصَهَا**وَلَمْ تَخُلْ وَقْتًا مِنْ مَنَالِ وَصَالِهَا
وَكَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ إِنْ كُنْتَهَا**وَكَانَتْكَ تَحْقِيقًا فَحَلْتِ لِحَالِهَا¹

يظهر الرمز معبراً على حالة الفناء الإلهي، يقول في هذا المقام "أبو محمد عبد
الْحَقِّ بْنِ رَبِيعِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَّارِ الْأَنْصَارِيِّ" (ت 675هـ) ولد بجاية وقرأ بها ولقي
مشائخ، كان رحمه الله روح بلده ومصره وواسطة نظام أهل زمانه وعصره:

سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِ الْجَمِيلِ فَأَسْفَرًا**وَبَدَأَ هَلَالَ الْحَسَنِ مِنْهُ مَقْمَرًا
وَدَنْتُ فَكَاشَفْتُ الْقُلُوبَ بِسَرِّهَا**وَسَقَتُ شَرَابَ الْأَنْسِ مِنْهُ كَوْثَرًا
وَرَأَيْتَهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ أَبْصَرْتُ**عَيْنَايَ حَتَّى عُدْتُ كُلِّي مَبْصَرًا
وَسَمِعْتُ نَطْقَ النَّاطِقِينَ فَكَلَّمُهُمْ**بِالْحَمْدِ بِالتَّسْبِيحِ عَنْهَا أَخْبَرَا
وَبِهَا رَكِبْتُ زَوَاخِرًا مِنْ حَبِّهَا**وَلَبِستُ سِرَّ السَّرِّ ثَوْبًا أَحْمَرًا
وَبِهَا فَنَيْتُ عَنِ الْفَنَاءِ وَغُصْتُ فِي**مَاءِ الْحَيَاةِ مَسْرَمَدًا وَمُدْهَرًا²

يندرج ضمن هذه الأبيات معاني الفناء؛ الفناء عن الحس يليه التوحيد، ثم
الفناء عن الفناء وهو ما يتفرد به المرید كمرحلة نهائية، وهو الذي وصفه "عبد
الكریم الجمیل" في المنظر الحادي عشر بقوله: " في هذا المشهد يتحقق فيك حكم
المحق، والطمس، والمحو، والانعدام، فتفنى أولاً عن ذاتك، وجميع ما ينسب إليها،
ثم تفنى عن الفناء، فيأخذك أمر ضروري إلى ذات واجب الوجود، فيكون

¹- أحمد بن أحمد أبة العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، ص

مشهدك في الله، مشهده فيه، وأنت كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: الآية 1] ¹ ولا ينفصل معنى الفناء هنا عن التجلي والمكاشفة باعتبارهما عناصر متضامة في تحقيقه.

ويعدُّ "أبو مدين الغوث التلمساني" (ت509هـ) أيقونة الشعر الصوفي في الجزائر، فقد كان شعره يجمع بين السلوك، والرقائق، والعرفان، وله من الشعر ما يمتلئ عذوبة ورمزا وإيحاء، يقول في أحد قصائده:

تَمَلَّكْتُمْو عَقْلِي وَطَرْفِي وَمَسْمَعِي *** وَرُوحِي وَأَحْشَائِي وَكُلِّي بِأَجْمَعِي
وَتَهْتَمُونِي فِي بَدِيعِ جَمَالِكُمْ *** وَلَمْ أَدْرِ فِي بَحْرِ الْهَوَى أَيْنَ مَوْضِعِي
وَأَوْصَيْتُمُونِي لَا أَبُوحُ بِسِرِّكُمْ *** فَبَاحَ بِمَا أَخْفَى تَفِيضُ أَدْمُعِي ²

فهذا شعر في الحب يفيض بالرمز والألم والمتعة أيضا، ولأجل هذا عدَّ أبو مدين الغوث مدرسة التصوف في المغرب العربي.

✓ شعر التضرع والمناجاة:

التضرع والمناجاة من نوع من أنواع الدعاء يحفلان بحمولة وجدانية تترجم الاحتياج النفسي لدى العبد، وإذا عرف منذ القدم ورود هذا النوع من الدعاء في قالب نثري، فإنَّ الشعر هو الآخر من الأغراض التي حفلت بأفانين من تضرع الشعراء معبرة بذلك عن ضعف يستقيم عند الاستنجاد بالله عزَّ وجلَّ، وقد نظم في هذا النوع شعراء كثر لا يمكن حصرهم بسبب المرجعية الدينية التي كانت

1- عبد الكريم الجيلي: المناظر الإلهية، تح: نجاح محمود الغنيمي، دار المنار، (د.ط.ت.ش)، ص: 113.

2- عبد الحلیم محمود: أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة. ص 124.

غلبت على الاتجاه الشعري فأصبح معظم الشعراء ينزعون نحو التصوف، ويمكن ذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر "أبو بكر النحوي" (ت: 513هـ). في قصيدته المنفرجة التي حظيت بشروح كثيرة منها شرح: "عبد الرحمن بن حسن المقابري الشافعي" (ت 561هـ) وسماء الأنوار البهجة في شرح كنوز المنفرجة، وشرح الشيخ أبو العباس أحمد النقاوسي البجائي (ت 810هـ) وسماء الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة..¹ وتعدّ هذه القصيدة ذات فضل عظيم لدى الصوفية في تفرّج الكروب، ويقول في مطلعها:



اشتدي أزيمةً تنفرجي*** قد آن صبحك بالبلج
وظلام الليل له سرجٌ حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير لها مطر*** فإذا جاء الإبان تبي

قصيدته الجيمية المسماة بالمنفرجة انعكس فيها إيمانه العميق بأن الأزمة مهما اشتد وطؤها فإن مآلها الفرج، داعياً إلى الاستعانة بالقرآن وقيام الليل في تأمل وتمعن مع الاجتهاد في العبادة قصد الوصول إلى الكشف معتبراً هذه الدرجة قمة العيش وبهجته، وقد نالت المنفرجة اهتمام العامة والخاصة أصبحت أثراً يستعينون به كلما حلت بهم النوائب وقد قام الفقيه أبو محمد عبد الله الخضرمي (ت 626 هـ) لما أدخله الموحدون السجن في قسنطينة بتخميس قصيدة المنفرجة مما يبين

1- محمد نوري عباس: شرح قصيدة المنفرجة للإمام أبي الحسن بن يوسف البصري المتوفى (905هـ)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (20) العدد (7) تموز 2013، ص: 73.

استمرارها وتأثيرها على النفوس وفي دفع الكرب وتخليص الناس من شدائد،
ويقول في التضرع: (بحر البسيط):

لَبَسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسِ قَدْ رَقَدُوا*** فَقَمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجْدُ
وَقَلْتُ يَا سَيِّدِي وَيَا مَنْتَهَى أَمَلِي*** يَا مِنْ عَلَيْهِ بِكَشْفِ الضَّرِّ أَعْتَمِدُ
أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا*** مَالِي عَلَى حَمَلِهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالذَّلِّ مُشْتَكِيًا*** يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ



و "لأبي مدين شعيب التلمساني" (ت 599هـ) القصيدة المسماة بالغوثية، وقد
كان شعر التضرع وطلب الفرج ناتجا عن أزمات أو مصائب قد حلت بالقوم
يلجؤون وقتها لله عز وجل كي يفرج عنهم.
كما يُترجم شعر المناجاة والتضرع لله الإيمان الخالص، والتوكل الذي يعدُّ
صفة ملازمة للمسلم، وعبر عن هذا "ابن خلوف القسنطيني" (ت 899هـ) في
قصيدة (عليك توكل) بقوله:

عَلَيْكَ تَوَكَّلِي وَلَكَ ائْتِقَارِي*** وَمِنْكَ تَطَلُّي وَبِكَ ائْتِصَارِي
وَفِيكَ مَحَبَّتِي وَإِلَيْكَ أَمْرِي*** وَهَلْ إِلَّاكَ قَصْدِي وَاخْتِيَارِي
أَيَا مَلِكٍ، الْمُلُوكِ وَلَا مَلِيكَ*** سِوَى عَبْدٍ بِبَابِكَ خُذْ بِثَارِي
وَيَا دِيَّانُ، يَوْمَ الدِّينِ سَهْلٌ*** طَرِيقَ هِدَايَتِي وَأَقْلُ عِثَارِي
وَيَا اللَّهَ، هَيَّأْنِي لِخَيْرٍ*** وَعَامِلْنِي بِلُطْفٍ مِنْكَ جَارِي¹

1- ابن خلوف القسنطيني: ديوان جنى الجننتين في مدح خير الفرقتين، تح: العربي دحو، رسالة دكتوراه
مخطوط، معهد الآداب، جامعة الجزائر، 1987، ص 16.

وفي السياق الشعري نفسه نجد «أبا مدين شعيب التلمساني» يتضرع مستنجدا
برحمة الله ورأفته قائلا:

إِلَيْكَ مَدَدْتُ الْكَفَّ فِي كُلِّ شِدَّةٍ *** وَمِنْكَ وَجَدْتُ اللَّطْفَ فِي كُلِّ نَائِبٍ
وَأَنْتَ مَلَاذِي وَالْأَنَامُ بِمِعْزَلٍ *** وَهَلْ مُسْتَحِيلٌ فِي الرَّجَاءِ كَوَاجِبِ
فَحِقُّ رَجَائِي فِيكَ يَا رَبُّ وَانْكَفِي *** شِمَاتَ عَدُوِّ أَوْ إِسَاءَةَ صَاحِبِ
فَكَمْ كُرْبَةً نَجَيْتَنِي مِنْ غَمَارِهَا *** وَكَانَتْ شَجَى بَيْنَ الْحَشَا وَالْتِرَائِبِ
فَلَا قُوَّةَ عِنْدِي وَلَا لِي حِيلَةٌ *** سِوَى أَنْ فَقَّرِي لِجَمِيلِ الْمَوَاهِبِ¹



وإجمال القول في غرض التضرع والمناجاة، هو أنه شعر وجداني يقوم على طرفين
هما العبد الضعيف الراجي رحمة الله، وربُّ قدير لا يتأخر عن إجابة دعاء من
دعاه، وإغاثة من استغاث به، وهذا الغرض ذو قيم وأبعاد في السلوك الإنساني.
✓ شعر المديح النبوي:

لقد أثرت قصيدة البردة في مدح الرسول ﷺ بحيث راح معظم الشعراء
والصوفية منهم خاصة يبدعون في هذا النوع من الشعر الوجداني والديني الذي
يقدم قيما نبيلة متعلقة بشخص رسول الله ﷺ ومدح صفاته وأخلاقه وسمو مكانته
في نفوس المسلمين " فكان المديح النبوي الفن الشعري الصادق الذي لا يخالطه
رياء ولا يشوبه ريب.. ولم تصبح المدائح النبوية ظاهرة متفردة إلا بعد مدة طويلة
من الزمن ولم يستقر ويتكامل إلا في العصر المملوكي أو قبله بقليل إذ أضحت له

1- أبو مدين شعيب التلمساني: الديوان، تح: عبد القادر سعود، سليمان القرشي، كتاب، ناشرون، بيروت،
لبنان، ط1، 2011، ص13.

قواعده وأصوله وتقاليده المعنوية والفنية"¹، وفي هذا الغرض أبدع كلُّ من: "كعب بن زهير" في داليتيه، و"حسان بن ثابت"، و"الفرزدق في ميميتيه"، وهي آثار تشهد عمق تأثير هؤلاء وغيرهم بأثر النبي ﷺ فيهم.

كانت مضامين هذا الشعر تُستمدّ من كلّ ماله علاقة بالنبيّ الكريم، سواء كان ذكر آل بيته الكرام، أو الحنين إلى الحجاز ونجد، ومهما يكن من تطوّر في هذا الشعر، فإنّ المغرب الأوسط عبر مختلف دويلاته عرف أضرباً في هذا الشعر كان يضمّنها كلّ شاعر عاطفته الصادقة. وفي وصفه ﷺ أبدع كثير من الشعراء مثل "أبي مدين شعيب التلمساني" وهو يمدح النبيّ الكريم بجميل الصفات:

فَمَا لَنَا مَلْجَأَ غَيْرِ الْكَرِيمِ وَمَنْ *** يُلْفَى عَلَى الْحَوْضِ وَهُوَ السَّابِقُ الْفَرِطُ
ذَاكَ الرَّسُولُ الَّذِي كُلُّ الْأَنَامِ بِهِ *** يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ صَلَاةً لَا نَفَاذَ لَهَا *** مِنْ اسْمِهِ بِاسْمِهِ فِي الذِّكْرِ مُرْتَبِطُ²

وعلى نظير هذا المدح أنشد "ابن الخلوف القسنطيني" في ديوانه جنى

الجنّتين:

اسْمُ حُرُوفِ الْمَعَانِي فِيهِ قَدْ ظَهَرَتْ *** وَكُلُّ عَالٍ سِوَاهُ حَرْفُهُ أُنْدَغْمَا
تَلْقَاهُ مُنْفَرِدًا فِي عَرِّ بَهَجَتِهِ *** كَالضِّيغِمِ اسْتَوْطَنَ الْأَشْبَالَ وَالْأَجْمَا
وَتَشْهَدُ الْعَيْنُ مِنْهُ بَيْنَ أُسْرَتِهِ *** يَا قُوْتَةَ لَمَعَتْ فِي جَوْهَرِ نَظْمَا

1- فاطمة عمراني: المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2011،

ص:106،105.

- أبو مدين شعيب التلمساني: الديوان، ص 27. 2



مُكَلِّبُ الذَّاتِ مِعْطَارُ التَّحِيَّةِ، مَا**أَبَاهُ مُقْتَبِلًا، مَا أَخْلَاهُ مُبْتَسِمًا
خَيْرُ النَّبِيِّنَ مَبْدَأُ الرُّسُلِ، خَاتِمُهُمْ**أَعَزُّ بِهِ مَبْدَأًا لِلرُّسُلِ مُخْتَمًا
إِنْ كَانَ عَيْسَى أَعَادَ الْمَيْتَ مُنْتَعِشًا**فَالصَّدُّ فِي كَفِّ طَهَ سَبَّحَ الْحِكْمَا
أَوْ سِيرَتْ لِسُلَيْمَانَ الرِّيَّاحَ فَقَدْ**سَارَ الْبُرَاقُ بِطَهَ مِنْ حِمَى لِحْمَى¹

وفي المديح تُستحضر حضرة النبي ﷺ وصفاته الجليلة مثل كأنه حاضر أمام المادح له، فتزيد من لوعة الشوق وأمل اللقاء به ﷺ.

✓ الشوقيات:

هو الشعر الذي يتغنى بالشوق إلى النبي الكريم ﷺ، وفيه أبداع كثير من الصوفيين وغيرهم مثل: "أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون القلعي" (ت 673هـ/1274م) من قلعة بني حماد الذي نشأ في الجزائر وقرأ بها وانتقل إلى بجاية مستوطنًا بها وقرأ وبرع وفيها لقي مشايخ منهم الشيخ "أبو الحسن الحرالي والفقيه أبو الحسن بن أبي نصر، وكان غرض الزهد مختلطًا مع غرض مدح النبي ﷺ والتشوق إليه في شعره:

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ بَانُوا فُؤَادَكَ مُغْرَمٌ**وَقَلْبِكَ خَفَاقٌ وَدَمْعُكَ يَسْجُمُ
وَمَنْ ذَاكَ إِلَّا أَنْ جِسْمَكَ مُنْجِدٌ**وَقَلْبِكَ مَعَ مَنْ سَارَ فِي الرَّكْبِ مَتَمُّ
وَمِنْ قَائِلٍ فِي نَظْمِهِ مُتَعَجِّبًا**وَجِسْمٌ بِلَا قَلْبٍ فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ
وَإِنِّي لَأَدْعُو لَلَّهِ دَعْوَةَ مُذْنِبٍ**عَسَى أَنْظُرَ الْبَيْتَ الْعَتِيقِ وَالْثَمُّ

1- ابن الخلوّف القسنطيني: ديوانه جنى الجنتين: ص 45.

فِيَا طُولَ شَوْقِي لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ** وَيَا شَدَّ مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَيَكْتُمُ
إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ أَرْفَعُ حَاجَتِي** فَأَنْتَ شَفِيعُ الْخَلْقِ وَالْخَلْقُ هَيْمٌ
فَقَدْ سَارَتِ الرَّجْبَانُ وَاغْتَمَمُوا الْمُنَى** وَإِنِّي مِنْ دُونَ الْخَلَائِقِ مُحْرَمٌ¹

ومن المدح الذي يُترجم الشوق، نجد الشوق إلى بيت الله الحرام وهو ما
عُرف بالمجازيات وفيها يُعبر الشاعر عن ولعه ببيت الله الحرام، وهذا الغرض من
الشعر قديم عُرف منذ القرون الأولى للأدب العربي، وفي غرض المجازيات، نجد
قول "محمد بن يوسف القيسي التلمساني":

ذُكِرَ الْحِمَى فَتَضَاعَفَتْ أَشْجَانُهُ** شَوْقًا، وَضَاقَ بِسِرِّهِ كِتْمَانُهُ
دَنْفٌ تَذَكَّرَ مِنْ عُهُودِ وَدَادِهِ** مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِ نِسْيَانُهُ
يَهْفُو لِبَرْقِ الْأَبْرِقِينَ تَعَلُّلاً** وَالْقَلْبُ مِنْهُ دَائِمٌ خَفَقَانُهُ
وَيَسْأَلُ الرَّجْبَانَ عَنْ ذَلِكَ الْحِمَى** فَتَثِيرُ كَامِلَ وَجْدِهِ رَجْبَانُهُ
وَيَرُومُ سُلُوانَ الْهَوَى فَيُجِيبُهُ** أَنَّ الْحُبَّ مُحْرَمٌ سُلُوانُهُ
وَيَشُوقُهُ مِنَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى** مِنْ نَحْوِ طَيْبَةٍ طَيْبًا أَرْدَانُهُ
وَأَعَايِنُ الْحَرَمَ الشَّرِيفَ وَتَتَجَلَّى** عَنْ قَلْبٍ صَبَّ مَدْنِفٍ أَشْجَانُهُ²

لقد تفنن الشعراء في التعبير عن مواجيدهم من خلال اتخاذ المكان وسيلة لذلك
لأنه فضاء حي في نفوسهم يزيد صلتهم بالمحجوب.



1 - أحمد بن أحمد أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية، ص: 70.

2 - ابن خلدون: بغية الرواد في ملوك بني عبد الواد، ج 2، ص 111، 112.



٧ التوسُّلات:

إنَّ التَّوسَّلَ بِالذَّاتِ مُحَمَّدِيَّةِ سَبِيلِ النَّجَاةِ، وَالْإِلْهَامِ،
وَالْجَمَالِ أَيْضًا، وَقَدْ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ "الْحَلَّاجِ" وَ"عَبْدِ
الْكَرِيمِ الْجِيلِيِّ" وَ"ابْنِ عَرَبِيٍّ" وَعَدَّ هَذَا عِنْدَهُمْ صُورَةً لِلتَّجَلِّيِ الْإِلَهِيِّ وَالْخِلَافَةِ
الْبَشَرِيَّةِ، فَهُوَ أَصْلُ الْوُجُودِ، وَيَقُولُ "أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ أَبِي جَمْعَةَ التَّلَاسِي":

شَكَوْتُ إِلَيْكَ إِلَهِي عَسَى *** تَمُنُّ وَتَسْمَحُ بِالتَّوْبِ الْعَاجِلِ

وَتَصْفَحُ عَنِّ عَلَيَّ إِنِّي *** أَتَيْتُ ذَلِيلًا بِأَبْكَ سَائِلُ

فَمَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ الْإِلَهُ *** الَّذِي لَا تَخِيبُ إِلَيْكَ الْوَسَائِلُ

تَوَسَّلْتُ بِالْهَاشِمِيِّ الَّذِي *** بَعَثْتَ رَسُولًا فَأَدَّى الرَّسَائِلُ

نَبِيِّ الْهُدَى خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ *** شَفِيعِ الْعُصَاةِ وَزِينِ الْمَحَافِلِ

عَظِيمِ الْجَلَالِ كَثِيرِ النَّوَالِ *** كَرِيمِ الْفِعَالِ وَبِالْحَقِّ قَائِلُ¹

كلما تعدد صور التجلي الإلهي؛ تغيرت على إثرها صور الوجود المحمدي
الباعث على النور والعائد بالإنسان إلى أصل الوجود، بل هو مصدر معرفة صوفية
لما خصه له به عن سائر الأمم قال "أبو محمد عبد المنعم محمد بن يوسف بن عتيق
الغساني" من أهل الجزائر بعد 680هـ / 1281م:

لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ *** وَسَيِّدُهُمْ طَرًّا خَبَاهَا لِأُمَّتِهِ

إِلَى يَوْمٍ لَا يُغْنِي عَنِ الْمَرْءِ مَنطِقٌ *** فَصِيحٌ وَلَا يُدْبِي الْفَصِيحُ بِحَجَّتِهِ

1 - المصدر السابق، ص 119.

وَيَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ وَلَدِهِ *** حَيْبٌ وَلَا يَجْزِي أَبٌ بِأَبُوتهِ
وَكُلُّ نَبِيٍّ يَسْأَلُ اللَّهَ نَفْسَهُ *** وَيَضْرِبُ صَفْحًا عَنْ سُؤَالِ لِأُمَّتِهِ
فَلَا شَافِعُ فِينَا كَرِيمٌ مُشَفِّعٌ *** بِهِ يَشْمَلُ اللَّهُ عَنْ سُؤَالِ لِأُمَّتِهِ¹

باعتبار أنّ الذات المحمّديّة مبعث الجمال، نورد قول "بركات بن أحمد العروسي القسنطيني" (ت 879هـ) في ذكر جمال هذه الذات قائلاً:

وَجَمَالٌ وَجْهَكَ مِنْ هِلَالِ نَيْرٍ *** أَسْنَى وَمِنْ شَمْسِ الظَّهيرةِ أَظْهَرُ
وَقَوَامٌ قَدِّكَ مِنْ قَضِيبِ لَيْنٍ *** أَحْلَا وَأَرْشَقُ فِي العُيُونِ وَأَنْظَرُ
يَا أَيُّهَا الرِّشْقُ الَّذِي لَحْظَاتُهُ *** أَضْحَتْ بِهَا مَقْلُ الْمُتَمِّمِ تَسَهَّرُ²

فالذات المحمّديّة قد ألهمت الصّوفيّة شعراً وإبداعاً ومارست كثافة في الصّور المتخيّلة معنى ولغة، لذلك عدت رمزا فعّالاً في المرجعيّة الفكرية للتصوّف الجزائري القديم. ولا يقف الوعي بالجمال عند حدّ التّغني بالصفات وإنتاج الصّور المتخيّلة، بل يتعداه إلى دخول لحظة الفناء لفرط ما انعكست به المعاني في الدّهن فحققت سفراً معنوياً يبتغي الوصول إلى موجد الجمال.



1- أحمد بن أحمد أبة العباس الغبريني: عنوان الدراية، ص: 113.

2- بركات بن أحمد العروسي القسنطيني: وسيلة المتوسّلين بفضل الصّلاة على سيّد المرسلين، ص: 31.



6. غرض المولديّات:

شعر المولديّات هو الشعر الذي يتغنّى بمناسبة مولد النبي ﷺ، وهو فنّ قديم متأصل في الشعر العربي عامّة، والشعر الجزائري القديم خاصّة، وهو محمّل بحبّ الرّسول الكريم والصّلاة عليه التي يرجى منها الشّفاة يوم العرض، وقد برع فيه شعراء المغاربة الذين كانوا يقيمون المجالس الممتدّة على مرّ الليالي والأيام احتفاءً بهذه الذّكري وكان منهم ابن خلّوف القسنطيني في ديوانه (جنى الجنّتين) وأبو البركات القسنطيني، وأبو حمّو موسى الزياني الثاني الذي عرف بهذا الغرض الشّعري على عهد الزيانيين، فكانوا يطبعون حفلات المولد الشّريف باحتفالات خاصّة "اتّخذت مراسم الاحتفال بعدا اجتماعيا ولاسيما بين أفراد الفئات الاجتماعية بكلّ مستوياتها، ذلك بأنّ الصّورة البارزة فيه تمثّلت في جماعية الإحساس المتّسم بالتّجميل والسّموّ وخلق صورة جمالية يتفاعل فيها الزّمان والمكان والحدث، إذ راح النّاس في هذا اليوم يبذلون قصارى جهدهم في التزيين"¹، وفي شعر المولديّات يتمّ التغنّي إمّا بيوم الإثنين الذي هو مولد النبي الكريم، أو بالشّهر الفضيل، مثل ما قيل في مجلس في شهر ربيع الأوّل حضره (أبو حمّو موسى الزياني الثاني):

ألا يا ربيع الخير لا زلت رائيًا*** لقد جئت بالرحمى وخولتنا الشعرا
لك الفخرُ صلْ وانخرُ على الحولِ كلّها*** فأنت لنا عيدٌ نوّي لك العهدا

1- محمد زمري: المولديّات بين المتزاع الاجتماعي والتفرد الفني، مجلّة الفضاء المغاربي، ماي 2016، ص:

أَتَيْتَ يَمِينَ لَمْ يَأْتِ دَهْرٌ بِمِثْلِهِ *** أَبْرَ بِمِثَاقٍ وَأَزْكَاهُمْ مَجْدًا¹
واللآفت في غرض المولديّات أنه كان يحمل قيما، ويبلغ رسالة حضارية تجمع
بين حبّ النبي ﷺ، والافتداء بسنته "وما ميز المدائح النبوية عند أبي حمو موسى
الثاني، وغيره من شعراء عصره، هو ارتباطها بمتعاليات مقدسة كان لها وقع
حسن لدى المتلقي، فقد نظمت بشكل كشف عن عواطف دينية صادقة،
ونفحات إيمانية عميقة، أثارت نفس الأحاسيس لدى المستمعين، وخاصة أثناء
إنشادها في حفل السلطان، كما أنها كثيرا ما ربطت بين مدحها للنبي وبين واقع
المسلمين وهموم عصرهم، فتفاعلوا معها، وكثيرا ما قابل فيها الشعراء بين سعي
الأمراء إلى الحفاظ على قيم الأمة ومنجزاتها، وبين ما قدمه الأوائل وعلى
رأسهم ﷺ².

ومنهم من تغنى بالشهر الفضيل واعتبره أحسن شهور السنة خيرا ومنفعة
للناس، مثل "الحاج أبي عبد الله محمد بن جمعة التلاسي" في قوله:
أتانا ربيع بشير به *** فحق ربيع على كلّ عاقل
فحيت يا شهر من قادم *** سرور قدومك للخلق شامل

1- أبو زكريا يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج2، ص: 426.
2- أحمد موساوي: الأمير الأمازيغي أبو حمو موسى الثاني، رحلة السلطان/ رحلة الشعر، مجلة الأثر،
جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد السابع، ماي، 2008. الرابط:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/50724> ص105.



أتيت بمن جاءنا بالهدى** وبالمعجزات أتى والدلائل¹

وقد تميّز شعر المولديّات بمميزات فنيّة طبعته رغم تعدّد شعرائه، وأهمّ هذه المميزات هي احتفاؤه بمعجم خاصّ متعلق بصفات النبي الكريم، وفضائل شهر ربيع الأوّل وليلة الإثنين ويومها، موظّفًا مجموعة صور بيانية وتشبيهات تجعل هذا الغرض الشعري يترواح بين الرّمز والحقيقة، ولم يكن هذا الغرض الشعريّ مجرد متعة شعرية فقط، بل كان رسالة قيمية، وتربوية يسعى من خلالها الشعراء إلى ترسيخ حب النبي ﷺ.

1 - المصدر نفسه، ص: 118، 119.



7. الموشحات في الشعر الجزائري القديم

إنَّ شعر الموشحات مظهرٌ من مظاهر التّجديد في الشعر

العربي بعدما كانت الأغراض الشعريّة تنحو منحى البنية التقليدية في القصيدة العربية، مثل الرثاء، والمدح، والغزل... وأوزان هذا الغرض ناشئة عن الأوزان العروضية المهملة، وقد ظهر الموشح في الشعر الجزائري القديم تماشياً مع الانفتاح الأدبي الذي عرفته دولة الموحدين على الدويلات المغاربية والأندلس، ونظم فيه شعراء كثروا في أغراض عدّة أيضاً، ففي ظل الحمادية نجد (أبا بكر الداني المعروف بابن اللبانة) (ت 507هـ) نزيل بجاية وهو من مدينة دانية في الأندلس، "وهو من فحول الشعراء له شعر نبيل المأخذ جمع فيه بين سهولة الألفاظ ورشاقها وجودة المعاني ولطافتها"¹ ومن موشحه من بحر المجتث الذي قاله في مجلس منادمة وطرب:

شَقَّ النَّسِيمُ كِأَمَّهُ عَنْ زَاهِرٍ يَتَبَسَّمُ
فَلَا تُطَعُ بِمَلَامِهِ وَاشْرَبَ عَلَى الزَّيْرِ وَالْبِمِ
حَيَّا النَّسِيمُ بِمَنْدَلٍ عَنْ طِيبِ زَهْرٍ أَنْيَقِ

¹ - بن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أباء الجزائر، ج1، ص 88

وَنَسِيمُ الرَّوْضِ تَخَجَّلُ مِنْهُ خُدُودُ الشَّقِيقِ¹

تأخذ هذه المقطوعة صورتها من المحسوس لتصور النشوة والجمال الذي يعكس تناسق الصور، كما استعمل الموشح لمدح السلاطين والملوك، كالذي قاله الشاعر نفسه في مدح (باديس بن منصور الحمادي ت: 498هـ) سادس ملوك بني حماد كان عظيم السطوة وشديد البأس:



دَعَّ قَطْعَكَ الْآفَاقَ يَا أَيُّهَا الْمُرْتَادُ (المجث)

واقصِدْ إِلَى باديسَ خَيْرُ بَنِي حَمَادٍ

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْلَا بِطَائِلِ التَّائِسِ

لا تعتمد إلا على علي علا باديس

ولم ينظم الموشح على لأغراض الغناء فقط، بل للمديح النبوي أيضا، مثلما نجده عند "ابن الخلوف القسنطيني" في عهد الدولة الزيانية يصف فيه خير الأنام من مجزوء البسيط (الذي يجوز فيه الخبن أي حذف الساكن الثاني مثل مستفعلن: متفعلن، والطي الذي هو حذف الرابع الساكن مثل: مستفعلن: مستعلن) يقول:

يَا جَوْهَرَ الْبَدءِ يَا مَسْكَ الْخِتَامِ يَا أَشْرَفَ الرِّسْلِ وَخَيْرَ الْأَنَامِ

¹ كمامه: غطاءه/ البم: الوتر الغليظ من أوتار العود، الزير: الدقيق من الأوتار، وأحدّها وهو ما يقابل البم/ المندل: نوع من أنواع الطيب

يا معدن الحسن وسير النهى يا منشأ الخصب وبراء السقام

يا جوهرًا قد عرّ عن قسمة والفرد لا يعرف بالانقسام

أنت الذي ألبست تاج البها وحلة الإجلال والاحترام

وقد وردت كثير من الموشحات للشعراء الجزائريين مبنوثة في كتاب نفح



الطيب، مثل قول "ابن خلف" في موشحته المشهورة:

يَدُ الإِصْبَاحِ قَدْ قَدَحَتْ زَنَادَ الأَنْوَارِ مِنْ مَجَامِرِ الزَّهْرِ

و"ابن خزر البجائي" موشحة منها:

ثَغْرُ الزَّمَانِ موافق حَيَّاكَ مِنْهُ بابتسام¹

ويعدّ العهد الزياني من بين أبرز العصور التي نشط فيها الموشح بسبب عامل

الاحتكاك مع الشعر الأندلسي الذي يتميز بالطابع الغنائي، كما أنّ نشاط شعر

المولديات في هذه الفترة عاملا مساعدا على نشاط شعر الموشح.

1- أحمد بن المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر،

بيروت، 1968، ج7، ص: 11.



8. ترجمات الأعلام والشعراء الجزائريين القدماء

أبو مدين شعيب التلمساني:

هو شيخ الصوفيّة في المغرب العربي ومن أوائلهم، ترجم له المؤرخون وأصحاب الطبقات، ويُعدُّ من أصحاب التّصوّف السّلوكيّ، توفي سنة 594هـ في بجاية "تلقي أبو مدين تعليمه بالأندلس، ثمّ عبر إلى المغرب ودرس في سبتة وفاس ومراكش، وسافر إلى المشرق وأدى فريضة الحجّ، ثمّ عاد إلى المغرب... دأب على قراءة كتاب الإحياء للغزالي عاكفا عليه، تردُّ عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت، كما كان كثير الأوراد، يُخفي صدقته ويكرم الفقير ويذلُّ الغنيّ، ويسارع في قضاء حاجة الفقير بنفسه، وهو من أعلام العلماء، وحُفّاظ الحديث، خصوصا جامع الترمذيّ، الذي رواه عن شيوخه عن أبي ذرّ، الذي سمعه عن عليّ بن غالب"¹ كما أخذ علم التّصوّف وباقي العلوم عن شيوخه أبي يعزى (ت572هـ)، وعلى يد أبي الحسن بن حرزهم (ت559هـ) وغيرهم من العلماء.

للشيخ "أبي مدين شعيب التلمساني" كثير من الآثار في الحكم، والوعظ، والإرشاد، والشعر المرشد إلى تقويم السّلوك، وتحدّث كثير من المراجع عن معراجه إلى الله تعالى على طريقة الأنبياء.

1 - نور الهدى الكّاني: الأدب الصّوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحّدين، دار الكتب العلميّة،

بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 143.

أبو حمو موسى الزياني الثاني (1323-1389هـ/723-791م):

من بين الأعلام الذين يعتزّ بهم تاريخ الجزائر لما جمعه من حظّ في الفقه والأدب والسياسة، ولد في غرناطة في الأندلس وانتقل إلى تلمسان سنة ولادته وفيها نشأ وإليه يرجع الفضل في استقرار الدولة الزيانية بعد جهد بذله في ذلك فقد تولى حكمها " سنة 1459هـ/670م ثمّ نفي سنة 1359هـ/761م، ثمّ عاد إلى العرش وظلّ فيه إلى سنة 1371هـ/773م، ثمّ عزل وعاد إلى العرش وظلّ فيه إلى سنة 785هـ و786هـ وتوفي سنة 1387هـ/789م¹ وربما حرصه على ضمان الأمن والاستقرار جعله يضيف ثمارا على النبوغ الثقافي لتلمسان " فهو الذي جدّد الدولة وأمر بإطلاق الدولة الزيانية بدل النسبة العبد وادية التي اشتهرت بها قبل انبعاثها، فاسترجعت الدولة في عصر حمو موسى الثاني شبابها ومجدها الذي كان سيقضي عليه بنو مرين وبنو حفص.. وكان أبو حمو موسى أدبيا يقرض الشعر ويحبّ أهله، وله تأليف حسن في السياسة نلخص فيه (سلوان المطاع) "لابن ظفر" وزاد عليه فوائد وأورد فيه جملة من نظمه وأمورا جرت له مع معاصريه من ملوك بني مرين وغيرهم"² فضلا على اشتهاره بالأدب وتقريض الشعر خاصة شعر المولديات الذي كان يعدّ له مجالس مدح خاصة منذ دخول شهر ربيع الأوّل كما كان رجل سياسة

1- ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هدى سلامة، مكتبة الثقافة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1، 2001هـ، ص: 32.

2- محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط.ت.ش)، ص: 155، 157.

وحكمة في تسيير الحكم ظهر في كتابه (واسطة السلوك) الذي وضع فيه قواعد تسيير الدولة وما يتعلق بها من مصالح، وقد شهدت له بسالته في إبعاد سطوة بني مرين وبني حفص وبني توجين ومغراوة في وقت لاحق " قد واصل المجهود الذي بدأه أخوه أبو زيان محمد؛ فجرد حملات متتابعة ضد بني توجين ومغراوة؛ فأُخِن فيهم، وسلبهم المال والأرواح؛ ثم انتقل إلى بقية القبائل المتواجدة في تلك الديار؛ حتى أخضعهم، واطمأن إلى استكانتهم، وطاعتهم؛ وبذلك تمكن من السيطرة منذ توليه إلى سنة 714 هـ / 1314 م على المدن والمناطق التالية: شلف، وجبل وانشريس، والرسو، ومازونة، مليانة، ولمدية، والجزائر، وبرشك، وتنس، ومستغانم، ووهران. هذا؛ ولم تشغله عملياته العسكرية ضد القبائل المتواجدة بين تلمسان والجزائر عن نقل عملياته الحربية إلى ديار الحفصيين في إفريقية؛ إذ شدّ ضغطه عليهم بعد سقوط حجاب الثقة بينهم وبين بني زيان؛ جراء مساندتهم لبني مرين أثناء حصارهم لتلمسان¹ ومما نسب إليه من شعر ولعه بتلمسان:

وكم سقيت كؤوس الموت صافية *** وقد حميت بحد السيف أوطاني

وكم قهرت عدوا ظلما غشما *** يوم اللقاء بإطعان وأطعان

وكم عمّرتُ دياراً قلّ عامرها *** وقد جعلتُ ديار الأنس عمرا

وقد أقيمتُ رسوماً قبل ناصرها *** يوم الهياج وكلّ الناس عاداني²

1- بوزياني الدراجي: أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للدراسات، تلمسان، ص: 193، 194.

2- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزباني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ط)،

1984، ص: 315.

محمد بن يوسف القيسي المعروف بالثغري التلمساني (633-962هـ/1235-1554م):

من الشخصيات المهمة التي عرفها العصر الزياني، الملمة بصنوف العلم والأدب، ومما زاد في نبوغه هو تلمذه على يد علماء تلمسان، هو من الكتاب الذين اتخذهم "أبو حمو موسى الزياني الثاني وكان أحد رجال البلاط المقربين" وذكره صاحب معجم "من أعلام الجزائر" في قوله: "محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري، شاعر، أديب كاتب من تلمسان، ومن أشعر شعرائها وبلغائها المقدمين على سلاطينها. وصفه المازوني: بالإمام العلامة الأديب الأريب الكاتب، ووصفه المقرّي "بالعلامة الناظم الناثر" كان من شعراء بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني، له قصائد كثيرة نقل بعضها يحيى بن خلدون في (بغية الرواد) والمقرّي في (أزهار الرياض) وابن عمار في رحلته (نحلة الحبيب)¹، كما ذكره (عبد الرحمن الجيلالي في تاريخ الجزائر العام قائلًا: "هو العالم الجليل الكاتب البارع والشاعر المفلق أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري، من أشهر شعراء لمسان المبرزين والمقدمين لدى سلاطينها وملوكها"² ولعلّ من حسن حظّ الثغري أنّه عاش في عصر ازدهار في الأدب والثقافة وانتشار مراكزهما الذي عززته الدولة الزيانية، وفي ظلّ النصر الذي كانت تحرزه هذه الدولة في الانتصار

1- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، لبنان، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1400هـ-1980م، ص: 92.

2- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر، ط4، 1980م، ج2، ص: 216، 217.

على خصومها من بني حفص، كثر مدح هذه الانتصارات خاصة التي كان يحققها
 "أبو حمو موسى الزياني الثاني" وكان الثغري التلمساني من الشعراء الذين أبدعوا في
 هذا الغرض، إذ يقول في مدحه:

مَا عَابِدُ الرَّحْمَنِ إِنْ تَسَأَلَ بِهِ إِلَّا هَزَبٌ فِي الْكَرِيهَةِ ضَيْغَمٌ
 شَهْمٌ يُعَلُّ الْبَيْضَ مِنْ مَهَجِ الْعِدَى وَالسَّمْرُ فِي ثَغْرِ النَّحُورِ يُحَكِّمُ¹

كما برع في وصف تلمسان وعدّ شعره في هذا الغرض من أجمل ما قيل لأنه
 مزيج بين شعر الحنين إلى الأمكنة ووصفها وبين غرض الوصف في حدّ ذاته:

كَمْ غَدَوْنَا بِهَا لِأُنْسٍ وَرُحْنَا جَادَهَا رَائِحٌ مِنَ الْمُنَنِ غَادِ
 وَلَكُمْ رَوْحَةٌ عَلَى الدَّوْحِ كَادَتْ أَنْ تُرِيحَ الصَّبَا لَنَا وَهُوَ غَادِ
 رَقَّتِ الشَّمْسُ فِي غَشَايَاهُ حَتَّى أَحْدَثَتْ مِنْهُ رَقَّةً فِي الْجَمَادِ
 جَدَّدَتْ بِالْغُرُوبِ شَجْوً غَرِيبٌ هَاجَهُ الشُّوقُ بَعْدَ طَوْلِ بَعَادِ²

وهو من الشعراء الذين برعوا في المولديات مثبت في بغية الرواد ورحلة ابن
 عمار (نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب)، وكذلك في ديوانه، وقصائد
 المولديات عنده كانت تبدأ بمطلع في الزهد مثل مطلع قصيدته:

أَقْصِرْ فَإِنَّ نَذِيرَ الشَّيْبِ وَافَانِي وَأُنْكَرُنِي الْغَوَانِي بَعْدَ عِرْفَانِ³

1- محمد بن يوسف القيسي الثغري: الديوان، تح: نوار بوحلاسة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،

2004، ص: 132

2 - المصدر السابق، ص: 47، 48.

3- المصدر السابق، ص: 153.

وأغراض شعره تنوعت بين المدح والمديح والمولديات التي كان لها الحضور الوافر في ديوانه، وهو في كل هذا يصبغ شعره بالطابع البدوي الذي غدّته طبيعة تلمسان، إضافة إلى المقدمات الطلية، مثلما ورد في قوله:

دِنْفٌ تَذَكَّرَ مِنْ عُهُودِ وِدَادِهِ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِ نَسِيَانِهِ
يَهْفُو لِبَرْقِ الْأَبْرَقِينَ تَعَلُّلاً وَالْقَلْبُ مِنْهُ دَائِمٌ خَفْقَانِهِ
وَيَسْأَلُ الرَّجُلَانَ عَنْ ذَاكَ الْحِمَى فَتَشِيرُ كَأَمْنٍ وَجَدَهُ رَجْبَانِهِ¹

وهذه من مظاهر المحافظة التي بقي الشعر على عهد الزيانيين موظفا لها في شهر، توفي الثغري التلمساني في أواخر القرن الثامن أو في أوائل القرن التاسع الهجري².



1- المصدر السابق، ص: 148.

2- ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان) دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1990م، ص: 64.

5. خصائص الشعر الجزائري القديم

من خلال ما تقدّم يمكن استنتاج عدّة خصائص للشعر الجزائري القديم

منها:

- أنّه شعر تعدّدت أغراضه الفنية وكانت معظمها تساير الوضع المعرفي والثقافي الذي كانت عليه الإمارات، فكان فناً حاضراً ومترجماً لحالها.
- لقد تميّز الشعر الجزائري القديم بالتشابه مع الأغراض المشرقية والأندلسية حتى عدّت هذه الأخيرة مرجعية معرفية له، وفي حالات أخرى نجد تفرّداً في الإبداع وافق حاجات عصره مثل شعر: "مثل ابن قاضي ميلة في غزلياته، والثغري في مولدياته، أو ابن علي في بعض موشّحاته، حتى وإن كان الإبداع الجزائري لم يبرح يعاني من أوضاع سياسية غير مستقرّة"¹ كما سار الشعر الجزائري القديم النّظام المعروف وهو القصيدة العمودية، كما أنه نظم على أوزانها.



1- حبيب بوزوادة: مرجعية الخطاب الشعري القديم في الجزائر، رسالة دكتوراه تخصص: أدب جزائري قديم، جامعة وهران، 2011، ص: 256.



المحور الثاني: النثر الجزائري القديم.

- 1- نشأة النثر الجزائري القديم.
- 2- فنون النثر الجزائري القديم.
- 3- الكتابة الموضوعية (الرسائل الرسمية)
- 4- الكتابة الذاتية (الرسائل الإخوانية ، والكتابة الصوفية)
- 5- الكتابة الوصفية (أدب الرحلات)
- 6- الكتابة القصصية (المقامات)
- 7- الخطب (الدينية والسياسية)
- 8- الوصايا.
- 9- الحكم والأمثال.
- 10- الخصائص الفنية للنثر العربي القديم.



1- نشأة النثر الجزائري القديم:

لقد اتخذت الإمارات التي استقرت في المغرب الأوسط اللغة العربية لسان حالها، خاصة في كتابة الرسائل والخطب التي كان يعول عليها وقت ذلك في التواصل بين الأمراء والرعية وتنظيم شؤونها، كما أن إقامة أسس هذه الدويلات بدءاً من الدولة الرستمية على أساس إسلامي، تطلّب حضور العلوم العقلية وتنشيط عملية التأليف، وهذا تطلّب النثر أكثر من الشعر "لأن الأئمة الإباضيين كانوا علماء دين ورؤساء مذهب ضروري أن تكون لهم ثقافة متينة وأن يكونوا على أهبة للدفاع عن آرائهم بالحجة الدامغة، تراهم يعقدون مجالس للعلم والتعليم، يعلمون الناس ويلقون عليهم بالمساجد دروساً في التفسير والحديث والفقهاء والكلام والآداب والعلوم والرياضيات والتنجيم، فكان "عبد الرحمن" مفسراً، وله في هذا الميدان تأليف، وابنه "عبد الوهاب" برز في العلوم الدينية ونبغ "أفّاح" في الأدب، يقال: أنّ عبد الوهاب أرسل إلى إباضية البصرة ألف دينار ليشتروا له كتباً، فلما بلغتهم اشتروا بها ورقاً استنسخوه كتباً، وتلك الكتب كانت على وقر أربعين جملاً، كلّها أرسلت إليه واتّصل بها"¹ لذلك تعدّ هذه العوامل مجتمعة عاملاً مهماً في نشأة النثر الجزائري القديم، ومن أهمّ الأدباء والأعلام الذين اشتهروا في الكتابة النثرية بل وطوّروها: "أفّاح بن عبد الوهاب" "عبد الرحمن بن رستم" و "ابن الصّغير" و "ابن سهل".

1- محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص: 29، 30.



2- فنون النثر الجزائري القديم:

النثر هو طريقة تواصل مُثلى في الحياة اليومية، لذلك نجده أكثر ذيوعا من الشعر، والحديث عن النثر الجزائري القديم يُحيلنا إلى فنونه المختلفة التي وُظفت حسب الحاجة إليها، فكان فنّ التّرسل بنوعيه، والخطابة من بين أهم الفنون النثرية التي كانت سبّاقة إلى الظهور والاستعمال، وعزّز هذا جهود الدولة الرّسّمية في تعليم اللغة العربية والتّعامل بها في مختلف الأمصار، وكانت ثمار هذا الحرص هو اقتفاء أساليب العرب في الشعر والنثر، فظهرت مختلف فنون النثر على النظام العربي القديم، لذلك اتّسمت بالكلاسيكية في الطرح. يمكن الحديث عن النثر التواصلي مثل: الخطابة، والتّرسل -الديواني والإخواني- الذي ظهر استجابة لحاجة تواصل الأمراء مع الرعية، مراعين فيها نظام الاستهلال، والبناء. وظهر إلى جانبيهما النثر الفنيّ الذي اشتمل على الكتابة السّردية ممثلة في الرحلة، والمقامة. ولم تغب كتابة الوصايا والحكم عن الكتابة النثرية القديمة في المغرب الأوسط، بل وردت محملة بأنواع القيم، والتشبع بالدين الحنيف. خلاصة ما يمكن قوله عن النثر الجزائري القديم، هو أنّه تماشى مع ضرورات الحياة الاجتماعية، والضوابط الأدبية، فكان أنموذجا حيا عن حياة فكرية خاصة طبعت المغرب الأوسط.



3. الكتابة الموضوعية: (الرسائل الرسمية):

فنّ التّرسّل فنّ متأصلّ قديم في الأدب العربي، وقد ذاعت شهرة هذا الفنّ مع ظهور التّدوين الذي ساعد على تطوّر أشكاله وتنوعها بين التّرسّل الذاتي والموضوعي، وذكّر هذين النوعين يستدعي ذكر الخصائص الموضوعية والفنية المتعلّقة بكلّ نوع، وورد في لسان العرب: "راسلَهُ مُرَاسَلَةً، فهو مُرَاسِلٌ ورَسِيلٌ والتّرْسُلُ كالرّسْلِ والتّرْسُلُ في القراءة والتّرْسِيلُ واحد، قال: وهو التحقيق بلا عجلة. وفي موضع ثان قال: التّرْسُلُ من الرّسْلِ في الأمور والمنطق كالتمهّل والتوقّر والتثبّت... والإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرّسالة والرّسولُ والرّسِيلُ"¹، أمّا اصطلاحاً:

يرجع ظهور فنّ التّرسّل في الأدب الجزائري القديم منذ العهد الرّسمي نتيجة الحاجة الملحة للتّواصل بين الأئمّة والرّعيّة، وكذلك الحرص على تطوير الكتابة، وأشهر المترسّلين الأوائل: "عبد الرّحمن بن رستم، وعبد الوهاب بن عبد الرّحمن، ثاني الأئمّة الرّسميين، وأفّح بن عبد الوهاب، ثالث الأئمّة الرّسميين، وقد تنوّعت المضامين والأشكال ونجد نماذج منها أوردها البيروني في أزهار الرياض من الإمام "أفّح بن عبد الوهاب إلى نفاث" ذات المضامين المشتركة المتعلّقة بالحكم وسياسته، ومنها مثلاً الرّسالة الأولى:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، مادة رسل.

"من أفلح بن عبد الوهاب، إلى ميال بن يوسف يُقرؤه على من بحضرتة ويوجهه إلى كل من يرى توجيهه إليه، أما بعد: فالحمد لله المحسن إلى أوليائه المنعم عليهم بحسن بلائته، معز أهل طاعته، و ناصر القائمين بحقه فليس من اتبع أمره بمخذول،"أحمده"على ما أنعم به علينا وأحسن فيه إلينا حمداً أبلغ به رضائه وأستوجب به المزيد إنه قدير، انتهى إلي الكتاب الذي كتب به إليك،) تحية بن عابدين (فق أرتة وفهمت كل ما ذكره لك فيه عن كل خائب جاهل، بما هو عليه متعامل على ما لا علم له به متخبط في أمورهِ خبط عشواء، لم يبلغ العلماء، فيقتبس منهم، ولم يصحب أهل الورع فتحجزه آثارهم عن الهجوم على ما لا علم له به، لكنه نشأ وحيداً أقام متوحشاً من العلماء فتقلب في جوانحه الشيطان بنفخاته، فأورثه الكبر وعظم عليه الوقوف دون ما لا يعلم حتى يعلم، فهجم على ما لا يحل له، فكل شيء خطر على قلبه تكلم به مصيباً كان أو مخطئاً، وما أصابه من شيء على غير علم فأصابته خطأ، إذ تكلم بما لا علم له به، و ما أصابه من خطأ فهو مخطئ فيه، فهو يتردد في الخطأ: إن أصاب لم يدر، وإن أخطأ لم يدر، فهو ركب مشكلات يخبط خبط عشواء، كحاطب ليل لا يدرى ما يحطب، و لعله يحطب ما فيه حتفه أو حية تأتي على نفسه، فنعوذ بالله من الفتنة ومن السلوك على منهاج ذلك الرجل. لقد كان من قبلكم من المسلمين، لا يدعون مثل هذا يدخل مجالسهم، ولا يشهد جماعتهم، وكان عندهم مقصى ومبعداً مدحوراً يهجرونه ولا يجالسونه، حتى يرجع إلى سنة المسلمين، وأنتم محقوقون باتباع آثار سلفكم، والسلوك على منهاجهم، وأن تفعلوا بهذا التائه المتخبط ما كان يفعله

سلفكم بمن كان قبله لكي ينزجر من أراد الله به خيرا، وينتبه غيره ممن يخاف عليه الاقتداء به وأتباعه، ولا تظهر سنن أهل البدع ولا تقوم للشيطان دعوة أنا مبتدئ لكم ما ذكره وردا عليه ضلالته¹ واستمرت مراسلات الإمام أفلح بن عبد الوهّاب إلى مرؤوسيه، مثلها ورد في الرسالة الثانية للإمام أفلح:

من أفلح بن عبدا لوهاب إلى).....بياض في الأصل

أما بعد: ألبسنا الله وإياك عافيته، وكفانا وإياك مهمات الأمور برحمته. كتبت إليك وأنا ومن قبلي وخاصتي والرعية عامة على أحسن أحوال جرت به عادة الله وتواترت به نعمائه فله الحمد كثيرا والشكر دائما.

أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك، وحسن حالك، وتواتر نعم الله عليك، وإحسانه إليك، وإلى من قبلك من الرعية، وأهل الطاعة فسرتني بذلك، وحمدت الله كثيرا عليه وسألته تمام النعمة علينا و عليكم برحمته إنه مجيب، وذكرتم أمر نفاث، وأكثرتم فيه من الكتب ووصفتم عنه أشياء لا يشك أحد منكم في أنها بدعة وخلاف لما مضى علي سلفكم، فإن يك ذلك كما وصفت فما ينبغي لأحد منكم أن يخالجه الشك في أن ذلك ضلال، لأن الهدى في أيديكم، والحق ما شرعه لكم سلفكم الصالح والأئمة المرضيون رضي الله عنهم من أتى من بعدهم يخالف شريعتهم ويأخذ في غير طريقهم، فهو ذو بدعة وكل بدعة ضلال، وكل ضلال كفر، وكل كفر في النار، وأنتم على يقين من سنة أسلافكم،

1- عبد الله الباروني النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، (د.ط.ت.ش)، ص:

ولا يتبع الهدى إلا في موافقتهم، ولا يخاف العاقل الهلاك إلا في خلافهم وقد قلمت في كتابكم" هو غلام حدث غر لا تجربة له في الأمور، فنخاف أن جشمناه السفر والشخوص أن تحمله اللجاجة مع إعجاب الرأي والتهيه بالنفس على التماذي فيما يهلك به نفسه"، فما وجه ما سألتكم من ذلك؟ وهل أتم على شك من دينكم أوربية في أمركم؟ السنة في أيديكم وأسلافكم الماضون على مثل حالكم، بل كانت لهم عمال في حال كتمانهم و كبار يقومون بكل أمر من الحقوق وغيرها في حال الكتمان وليس أحد منهم يقول ما حكيتموه عن هذا الغلام"¹.

وغير هذا من الرسائل نلاحظ مجموع مميزات على مستوى المضمون والشكل، فمن حيث المضمون نجد الخطاب المباشر الرسمي المبني على الصرامة الهادف إلى حفظ مصلحة الرعية من الفتن، أما من حيث الشكل فإن الرسالة سارت على القالب الكلاسيكي لهذا الفن النثري إذ احترمت البناء المعتمد على المقدمة والعرض والخاتمة، فالمقدمات شكّلت عتبة مهمة يحضر فيها الاستهلال، وأوغلت في توظيف التناص والاقْتباس من القرآن الكريم، الذي كان المعين الرئيسي لتطور اللغة والآداب. كما تنوعت أساليب كتابة هذه الرسائل بين الخبري والإنشائي الذين يخرجان إلى أغراض بلاغية منها التقرير، والاستنكار.



1-المصدر السابق، ص: 202، 201.



4. الرسائل الذاتية (الإخوانية):

هي الرسائل التي يتبادلها الأصحاب بينهم، ويعبرون فيها عن الأحاسيس والمواجيد عكس الرسائل الرسمية، ولا يمكن تحديد الرسائل الذاتية زمن ظهورها، أو شكل كتابتها بحكم الذاتية والروابط الإنسانية والإخوانية التي تحكمها، ونجد أنموذج رسالة "محمد بن يوسف السنوسي التلمساني" (ت832هـ) إلى الشيخ المغيلي (ت909هـ)، ومناسبة هذه الرسالة أنّ اليهود بنوا كنائس لهم في منطقة توات، وأجاروا على المساجد، فاستنكر الفقهاء ومنهم الشيخ السنوسي التلمساني، والشيخ المغيلي وهذا نصّها: "من عبىد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بن أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها التي لا سيما في هذا الوقت علم على الأتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بالإيمان، السيد أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي، حفظ الله حياته وبارك في دينه ودنياه، وختم لنا ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة حفظ الله حياته وبارك في دينه ودنياه، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالمغفرة بلا محنة يوم نلقاه"

وكان ردُّ الشيخ "المغيلي" على هذه الرسالة: "بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية، والشجاعة العلمية من تغيير أحداث اليهود-أذّهم الله- كنيسة في بلاد الإسلام، وحرصكم على هدمها، وتوقف أهل تمنطيطة فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء، فبعثتم إلينا مستنهضين هم العلماء فيه، فلم أر ممن يلتفت إلّا لقوة إيمانه ونصوع إيقانه لما يشير

إليه الوهم الشيطانيّ من مدهانة من يتقي شوكته سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ المحقق، علم الأعلام، أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التّنسي- أمتع الله به- جزاه الله خيرا قد أمدّ لإبانة الحقّ ونشر أعلامه النّفّس، وحقّق نقلا وفهما وبالغ فأبدى من نور إيمانه الماحي ظلّمة الكفر أعظم قبس¹، وملاحظ على أسلوب هذه الرّسالة هو المباشرة في الخطاب دون تكلف، أو استعمال للصّيح المجازية، إضافة إلى استعمال أساليب الاستعطاف والتودّد التي تصلح في المراسلات الإخوانية.

وفي هذا السياق كتب الشيخ "المغيلي التلمساني" رسالة في أهل الذّمة، لكنها في الأصل تذكير للمسلمين بحقوقهم وواجباتهم تجاه دينهم وتذكيرهم بخطر اليهود عليهم خاصة في تصرفاتهم التي لم تكن تحمل احتراماً للإسلام والمسلمين، لذلك يُمكن عدّها من الرسائل الإخوانية، ووسمها بـ"مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، يقول في أحد مقاطعها التي يستنكر فيها هذا الخطر: "وقد علمنا طعن الكفار علينا، وتقوّلهم في ديننا، ولا سيما إخوان القردّة، فإنهم أشدّ الناس علينا عداوة، ولنبينا وحبينا وسيدنا، ومولانا، وشفيعنا محمد ﷺ، فما أقلّ همّة من لا ينفّر عنهم بطبعه، وقلبه، وجوارحه، ولبه، وما أخسّ وأخزى من يسمح لهم بقربه²."

1 - أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج من تطريز الدياج، منشورات دار الكتب، طرابلس، ط2، 2000، ص: 576. ويُنظر أيضا: البستان في ذكر أولياء تلمسان، ص 438، 439.

2- عبد الكريم المغيلي التلمساني الجزائري: رسالتان في أهل الذّمة، رسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص31، 30.

تُعد رسالة "أبي عصيدة البجائي" (ت865هـ) إلى "أبي الفضل المشدالي" (ت864هـ) الموسومة بـ: رسالة الغريب إلى الحبيب" من الدرر النفيسة التي تشهد على قيمة الرسائل الإخوانية في الأدب الجزائري القديم، وقد قام بتحقيق هذه الرسالة "أبو القاسم سعد الله" بعد أن كانت مخطوطاً، وفي وصفه قال: "هو مراسلة مطوّلة بعث بها من الحجاز عندما كان مجاوراً للحرم النبويّ، إلى صديقه أبي الفضل المشدالي الذي كان عندئذ بمصر، وقد تضمن المخطوط أيضاً وصفاً كافياً لكتاب آخر لأبي عصيدة عنوانه (أنس الغريب وروض الأديب)، وإن كان هذا الكتاب مفقوداً الآن"¹، كما تُعد هذه الرسالة وثيقة عن أدب الرحلة، وعن الظروف السياسية التي رافقت إمارة الحفصيين في الشرق الجزائري، وافتتح "أبو عصيدة" رسالته بقصيدة شعرية يمدح فيها صديقه ويثني على خصاله يقول في بعض أبياتها:

هَذِهِ مُرَاسَلَةُ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ إِلَى *** كَهْفِ الْأَنَامِ وَنَحْرِ الْوَقْتِ وَالسَّلَفِ

أَنَّهُ تَنَشَّرُ مَا قَدْ حَازَ مِنْ شَيْمٍ *** وَمِنْ جَلَالٍ وَمِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ

وَلَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُمْ شَوْقًا يَمِيلُهُ *** كَمَا تَمِيلُ غُصُونُ الْبَانِ مِنْ هَيْفِ

وما بِمَكَّةَ مِنْ أَيَّامِهِ سَلَفَتْ *** كَانَتْ مِنْ الْحُسْنِ فَوْقَ الْوَصْفِ إِنْ تَصِفِ²

وبعد هذه المقدمة التقليدية التي بدأت فيها الرسالة، يواصل "أبو عصيدة" خطابه نثراً إلى صديقه مُستكملاً أسلوب الثناء "الحمدُ لله الذي فتح بمفاتيح العقول

1- أبو عصيدة البجائي: رسالة الغريب إلى الحبيب، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1،

1993، من مقدمة المحقق.

2- المصدر السابق، ص 42.

أقفال الأفهام، ورفع حُجَب السرائر حتى ظهر ما كان محبوباً في صدور أهل المحبة والغرام، وبصر البصائر بحقيقة ما ترمزه الشِّفاه وتضميره الأوهام، وجعل رُقوم الأقلام تُغني عن المشافهة بالكلام، عند تنائي الأشخاص وتباعد الأجسام... وبعد، فهذه رسالةُ عبدٍ محبٍّ شائقٍ غريب، جواباً على مشرفة صدرت من مالك ماجد سيد حبيب، كتبها وهو قائم على قدم ولائه، مقيم على ما يجب عليه من رفع دعائه، من حضرة النبي المصطفى ﷺ، وعلى آله في تقبيل الصباط الكريم...¹، ثم يستكمل بثَّ دواعي الشوق إلى صديقه "المشدالي" في عتبة موالية للأولى يقول فيها: " وإني لم أزل من حين فراقك لبلاد المغرب، أرتاح إلى أصل الإمام بحضرتك، ارتياح الصادي لبرد الشراب، وأشتاق لمواصلتك، اشتيا المسافر للإياب...². ومن خلال ما تقدم من مقاطع الرسالة الإخوانية، نلاحظ عذوبة التعبير، وبلاغة الأساليب، وهو ما يختلف عن أساليب الرسائل الديوانية الرسمية.



1- المصدر نفسه، ص 44.

2- نفسه، ص 46.

5. الكتابة الوصفية (الرحلات):

التعريف بأدب الرحلة:

لغة:

الرحلة مشتقة من الفعل الثلاثي (رَحَلَ) الذي تشير مادته اللغوية إلى: "الرحلُ: مركب للبعير والناقة، وجمعه أرْحُلٌ ورِحَالٌ... والرحالةُ: نحوه، كله ذلك من مراكب النساء... والرحل مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث... وناقة رحيلة أي شديدة قوّة على السير... ورَحَلَ عن المكان یرتحل وهو راحل من قوم رحل: انتقل... والترحل والارتحال: الانتقال هو الرحلة والرحلة"¹ فالرحلة عكس الإقامة، وفيها تطراً على المرتحل أحوال من التعب وتمّ معرفة أماكن أخرى غير التي ألف الإقامة فيها.

اصطلاحاً:

إنه من المجازفة وضع تعريف اصطلاحى دقيق لأدب الرحلة لأنه يستمدّ ماهيته من عدّة حقول معرفية، فما يميّز أدب الرحلة هو التجربة الذاتية التي تعبر عن نفسها في شكل السيرة الذاتية، أو المذكرات، وكل ما من شأنه أن تحضر فيه الذات كعنصر فاعل، غير أنّ هذا لا يغيب حضور المناحي الاجتماعية، والثقافية، والتاريخية فيها التي تعتبر شاهداً بصرياً يستند عليه الرحالة لنقل ما عرفه في رحلته وعادات من مرّ بهم، وحصراً تقاليدهم التي تضيف إليه رصيماً معرفياً جديداً إن

¹ ابن منظور الأنصاري، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. (د.ط.ت.ش). لسان العرب. دار صادر.

بيروت، ج 11، (باب اللام، فصل الحاء) ص: 276..278.

كُتبات الرحالة، أيّا كانت توجهاتهم الفردية ونزعاتهم الشخصية، تصوّر إلى حدّ كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه، وتصف كثيرا من ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها،¹ وهذا مهما اختلفت أنواعها، ويقصد بالأنواع هنا؛ الرحلات الجغرافية، والمجازية، والتجارية... دون أن ننسى أنّ الرحلة عدت امتحانا لصلابة الفرد، وقياسا لمدى تحمل قوته في مواجهة المصاعب، إضافة إلى القيم النبيلة من حبّ للأوطان والحنين لها والتي تعدّ أهمّ ما في الرحلة.

إنّ الحديث عن الرحلة يفضي إلى نشاط حركي متعلّق بالترحال، والمشاهدة، والتدوين أيضا بحكم أنّ الرحلة عند العرب المتأخرين قد أخذت جانبها التاريخي والجغرافي، لكن مصطلح أدب الرحلة قد يتجاوز هذا المفهوم لأنّه مرتبط أكثر بجنس وصفي وسرد ذي بناء خاصّ تميّز به عن التاريخ "الرحلة وصف والتاريخ سرد إلّا أنّ هذه المقابلة تبقى نسبية، لأنّ الرحلة تتضمّن قسطا من السرد التاريخي"² وهذه التوأمة بين الوصف والسرد تمنح شعرية سردية تتغذى على التخيل الموجود في ثنايا النصّ الرحلي، كما نتيح الأحلام والرؤى بناء فضاء تنشأ منه صور تركيبية تعمل على إرساء آليات للتلقّي الذي طالما حرص عليه أدب

¹ فهم، حسين محمد، أدب الرحلات. (سلسلة عالم المعرفة) 138. المجلس الوطني للثقافة والفنون. الكويت، 1989، ص: 15.

² كيليطو عبد الفتاح: الحكاية والتأويل دراسات في السرد العربي، ط1، دار توبقال، المغرب، 1988، ص: 73.

الرحلات، إضافة إلى أنساق الرموز والعلامات التي ما إن نعلم إلى تحليلها، ستحيلنا إلى آليات النشاط البشري.

أهمية الرحلة:

لقد عرف العرب فن الرحلة منذ بداية وعيهم بذواتهم، وبطبيعة حياتهم التي لم تعرف السكون، لذلك فإن دافعهم إليها تمثل في البحث عن الاستقرار، ولم يثن ظهور الإسلام من النشاط الرحلي للعرب والمسلمين، إذ كان نشر الإسلام متمما لخبرة العرب في هذا المجال، ومضيفا لآداب لم يعرفوها من قبل، الأمر الذي عزز من ممارستهم لها " ليكون بعد ذلك هذا الاتساع في حدود العالم الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية من أكبر الدواعي إلى امتلاء نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم بحب الأسفار إلى الأمصار وامتداد أنظارهم إلى الآفاق البعيدة، والتوغل فيها، وشق قلب الصحراء"¹ إضافة إلى أن الرحلة هي أحسن مصدر تاريخي يوثق به كونها على تعتمد على المعاينة والنقل الشخصي للأخبار، ولعل هذا العامل يزيد هذا الجنس الأدبي متعة فنية نظرا للقالب الحكائي الذي تقدم به تفاصيلها، إضافة إلى الجانب العجائبي أيضا الذي انفردت به عن غيرها من الفنون الأدبية النثرية.

¹ - نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري. ط1، 2008، وزارة الثقافة. المملكة الأردنية، ص:20.

الرحالة المغاربة وأهم رحلاتهم:

لم يقتصر أدب الرحلة على العرب فقط، لأنه كما تقدّم الذكر أنّ الرحلة عموماً نشاط إنساني يلزم الإنسان بسبب دوافع مختلفة مثل: حبّ الاطلاع والتّوق إلى التّغيير، والانقياد إلى الفطرة التي جبل عليها والتي لا تقبل العيش إلا مع الآخر، غير أنّ الرحلة عند العرب انفردت بخصائص ظلّت تميّزها " وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكّن من تخطيط الشّرق والشّرقين، عبر رسم صورة دنيا لهم، بواسطة مخيّلّة جائعة إلى السّحري والأيروسي والعجائبيّ، قد ركّز على تتبّع ملامح النّهضة العلميّة والصّناعيّة، وتطوّر العمران، ومظاهر العصرنة الممثّلة في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق"¹ فالدهشة إذن هي عامل هامّ دفع نشاط الرحلة عند العرب إلى بلورة أدب رحليّ خاصّ بهم، وإذا تميّز أدب المشرق العربي بتجارب رحليّة مميّزة مثل: رحلات "المسعودي" المدوّنة في كتابه (مروج الذهب)، فإنّ الرّحلات المغربيّة سواء قديماً أو حديثاً لم تقلّ أهميّة عنها، لأنّها كانت مؤشراً قوياً على النّشاط العلمي، والثّقافي الذي ما فتئ أهل المغرب يسعون إلى إبرازه في رحلاتهم، فمن خلالها نشروا ثقافة المغاربة حول العالم، ونقلوا تراث الآخر إليهم.

لقد شجّع الرّحلة على مرّ العصور السّفر إلى الحجاز، قطب رحي عقيدة المسلمين، والطّابع الديني الذي طبع هذا النّوع من الرّحلات، زاد من متانة

¹- خالد التوزاني: الرّحلة وفتنة التّلقي بين الكّابة والتّلقي، دار السّويدي، الإمارات، المؤسسة العربيّة للنشر، بيروت، ط1، 2017، ص:8.

العلاقة بين المشرق والمغرب، وعدّ عاملاً إيجابياً آخر يُضاف إلى دور الرّحلات
عموماً في ربط أواصر التّراث الإنساني، مثل "رحلة "العذريّ"، وهي بعنوان
(ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع
الممالك). ويبدو من نصّ الرّحلة، ميل "العذريّ" الشّديد إلى تصديق
العجائب.. رحلة "الإدرسيّ" في القرن السّادس الهجريّ.. رحلة "أبي محمد التجاني"،
في القرن الثّامن الهجريّ، وقد خرج من تونس لأداء فريضة الحجّ عام
706هـ.. وهي تتناول مسائل الجغرافيا، ومسائل التاريخ الطّبيعي.. رحلة ابن بطوطة،
في القرن الثّامن الهجريّ.. رحلة لسان الدّين الخطيب، في القرن الثّامن الهجريّ
خطرة الطّيف في رحلة الشّتاء والصّيف.. رحلة أبي عصيد البجائيّ، في القرن
التّاسع الهجريّ، رسالة الغريب إلى الحبيب، وقد أرّخها البجائيّ وأرسلها إلى
صديقه المشدالي¹ ومما يلاحظ على الرّحلات المغاربية القديمة، أنّها كانت واجهة
ثقافية وحضارية ومعبراً عن حضور المغاربة في المشهد الثّقافي.

-الرّحلة في الأدب الجزائري القديم:

الرحلات العلمية:

استمدّت الرّحلة في الأدب الجزائري القديم موضوعاتها ومميزاتها الفنية
من أدب الرّحلة العام الذي سبق إليه الرّحالة المشاركة، وقد عُرّف كثير من
الرّحالة الجزائريين بداية من الخمسة الهجريّة الأخيرة بالسبق في الرّحلة العلمية وكان

1- ينظر: الشّوابكة: من ص: 55، 72.

الهدف منها نشر العلم أو طلبه، وكان منهم: "بكر بن حماد التيهري الذي ارتحل إلى القيروان، ودخل بغداد وأخذ من علمائها، أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني (ت: 402-442هـ)، ارتحل إلى طرابلس الغرب طلبا للعلم ثم عاد إلى تلمسان، أبو عبد الله محمد بن عليّ المشهور بابن الرّامة (487-456هـ) ولد بقلعة بني حماد، وبها تعلّم وارتحل إلى الأندلس طلبا للعلم"¹، ومنهم أيضا "أبو مدين شعيب التلمساني" الذي كان منارة علم في المغرب والمشرق، و"إبراهيم المصمودي التلمساني" (ت 804هـ) الذي ذاع صيته في الحواضر المغربية معلما وطالبا للعلم ونجد في العصر الزياني "أحمد بن محمد بن مرزوق" الشهير بـ: "ابن مرزوق" (ت 971هـ)، وهو من العلماء الرحالة الذين هاجروا إلى فاس ودرّسوا فيها مختلف العلوم وقيل فيه: "كان عاكفا على تدريس المدوّنة لابن حاجب الفرعيّ، وكان ملازما لفنون الفقه يقول من لا يعرفه أنّه لا يعرف غيره، وكان فصيح اللسان والقلم، حتى كان بعض من يحضره يقول: لو حضره سيبويه، لأخذ النحو من فيه"²، وعموما فإن مجال الرحلة العلمية قديما كان محل اهتمام بحكم تقديس العلم والعلماء، فكانت حاضرة بجاية منارة علم منها يرتحل العلماء وإليها يفدون من مختلف الأمصار.

1- عبد الصمد عزوزي: أدب الرحالة الجزائريين في الخمسية الهجرية الثانية، رسالة ماجستير مخطوط،

إشراف: د. محمد زمري، جامعة تلمسان، 1424هـ-2003م، ص: 9، 10.

2- ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر العلماء والأولياء من تلمسان، ص 135.

الرحلات المجازية:

كانت الرحلة المجازية من الشواهد المبكرة على الرحلة الجزائرية القديمة، ومثلها "أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني" أحد أشرف علماء الإباضية بالمغرب، وقد ذكره "سعيد الدرجيني" في ضمن علماء الطبقة الثانية عشر قائلا في مكانته العلمية التي أخذها ضمن كوكبة علماء المغرب آنذاك: " بحر العلم الزاخر والمُسخر للنفع، قترى الفلك فيه مواخرا، الرفيع القدر والهمة، والجامع لفضائل كل أمة، المحتوى على علوم جمّة... وهذا الشيخ له يدٌ في علم القرآن، وفي علم اللسان، وفي الحديث والأخبار... وبلغنا أن أبا يعقوب كان في عصر شببته يقرأ بقرطبة ففها أتقن هذا الفنّ، وفيها حصل بضاعة وافرة من اللغة غير مزجاة، وفيها قرأ جملة من علوم الحديث، ومما يدلّك على سعة ما عنده من هذه الفنون؛ قصيدته المجازية المتطاولة، فإنه أودعها فصولا، أبياتها عدد أيام العام بدأ فيها بغزلٍ رقيق، ثمّ الرحلة عن وارجلان، والتنبية على من صحبهم في ذلك الركب، وذكر الطريق منزلة منزلة في سيرهم حتى وصلوا، وذكر المناسك، ثمّ فعل كذلك حتى خرج... ففها يُشهد له باتّساع الفنّ¹، وقد نظم الوارجلاني قصيدته المجازية في قالب سرديّ تتابعت فيه الأحداث من لحظة مغادرة وارجلان إلى وصول الوصول وما تخلّل هاتين النقطتين من أحداث، وهذه بعض أبياتها من المطلع:

عذيري عذيري من ذوات المعاجز ذوات العيون النجل بيض المحاجر

1- أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، (د.ط.ت.ش)،

ذَوَاتِ الشِّفَاهِ اللَّعْسِ بِالظُّلْمِ وَاللَّهْمَا
غَرَائِرُ خَرَقِ الصَّنْعِ سَوْدِ الْغَدَائِرِ

وقد اقتفى في المطع نظام القصيدة التقليدية المبتدئة بالغزل على نحو البردة،

ثم استكمل أبياتها في سرد نتابعي قائلًا:

خَرَجْنَا نَوْمُ الشَّرْقِ مِنْ حَيْزِ وَاَرْجَلَانِ
بِفَتِيَانِ صِدْقٍ مِنْ وَجْهِ الْعَشَائِرِ

لَقَدْ أَنْذَرَ الرَّائِينَ فَضْلًا بِهَوْلِهِ
عَلَى الرَّائِبِ الْمَلَّاحِ بَلَّهَ الْمَخَاطِرِ

إِذَا ضَرَبَتْهُ مَوْجَةٌ زَعْرَعَتْ بِنَا
فَصَكَّتْ بِجَنْبِهَا كَوْعَ السَّوَاطِرِ

فَحَطَمَ مِنْهَا جَلْبَةً فَتَحَطَّمَتْ
فَكَبَّرَ أَهْلَهَا بِكُلِّ التَّكْبِيرِ

فَأَنْقَذَنَا مِنْهَا الْمَلِيكَ بِفَضْلِهِ
وَأَلَّهْمَنَا الْمَعْرُوفَ خَيْرَ الْأَوَامِرِ

فَلَمْ يَنْجُ مِنَّا غَيْرَ أَنْاسٍ قَلَائِلِ
عَلَى ظَهْرِ الْوَجْهِ عُرَادِ الْمَسَامِرِ

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقَدْ مَنْ لَسْتُ وَاجِدًا
لَهُ مَثَلًا فِي سَائِرِ الْخَلْقِ بَائِرِ

وَلَهْفِي عَلَى السَّادَاتِ مِنْ أَهْلِ عَامِرِ
ذَوِي الْمَجْدِ وَالْأَخْطَارِ مِثْلُ الْجَوَاهِرِ

وَجُوهَهُمْ مِثْلَ الدَّنَانِيرِ زِينَةً
وَأَخْلَاقَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ

ثم وصف شعوره وهو يغادر مكة:

كَأَنَّ فَوَادِي يَوْمَ فَارَقْتُ مَكَّةَ
أَخُو نَشْوَةٍ أَوْ عِنْدَ لَيْثِ الْمَقَاصِرِ

ضَعِيفُ الْقَوَى بَادِي الصَّبَابَةِ هَائِمٌ
شَجِيهُ الْهَوَى وَاهِي الْعُرَا وَالْبَصَائِرِ

إِذَا ذَكَرَتْهَا الْعَيْنُ فَاضَتْ دُمُوعُهَا
وَإِنْ ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَنْصَابِرِ¹

1- أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، رحلة الوارجلاني، تخ: يحيى بن بهون حاج أحمد، نقلا

عن: عيسى بخيتي: الرحلة في الأدب الجزائري الحديث، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2017،

ص 29..31.

ويمكن الحديث عن الرّحلات الجزائرية مع بداية تدوينها "فبحلول القرن الثامن الهجريّ ظهرت بعض المحاولات تشي باهتمام الرّحّالين بتدوين رحلاتهم من أجل ذكر تجربتهم العلميّة والدينيّة وذكر شيوخهم ومن لقوهم، من علماء وأولياء، واستمرّ الأمر طيلة القرن الثامن والّذي تلاه، فقد كان هذان القرنان فيه عرضاً للتّجربة الرّحليّة، من دون أن تستقلّ الرّحلة كعمل مؤسس لرحلة منفردة، بل كانت الرّحلات إن لم تكن منظومة، فهي حشو يتضمّن كتاب من كتب أصحاب الرّحلات"¹، وما دون من الرّحلات في هذا المجال نجد ما ألفه (ابن مرزوق الخطيب ت780هـ) في كتابه (المسند الصّحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن) مزجا بين التّاريخ، ووصف مآثر الملك أبي الحسن المريني، والرّحلة التي كانت بدايتها حجازية والشّاهد فيها قوله: "واقضى نظر مولانا الوالد رحمه الله الانفراد، وبعثني للوطن في قصّة يطول ذكرها ولمعاذير أباها ومعه على ما صرح أبي عند وداعي له تّجاه قبر الرّسول ﷺ"²، وأثناء عودته من الحجاز مرّ بالديار المصريّة، والتّونسيّة، والمغربيّة أين نزل في بلاط الملك (أبي الحسن المريني) الذي شمله بمآثره، وأكرمه هو بمدحه في رحلته، يقول في أحد المقاطع: "ما مررت في

1- عيسى بخيتي: الرّحلة في الأدب الجزائري الحديث، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2017، ص:

2- محمد بن مرزوق التلمساني الخطيب: المسند الصّحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسو سبيغيرا، تقديم: محمود بوعيادة، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1980، ص 480.

بلاد المغرب بساقية ولا مصنع المصانع التي يعسرُ فيها تناول المياه للشرب والوضوء فسألت عنها إلا وجدتُها من إنشاء السلطان، أبي الحسن..¹.

الرحلات الصوفية: لعبّاس أحمد الخطيب الشَّهير بابن قنْفذ القسطنطيني (ت 810هـ) رحلة موسومة بـ: (أُنسُ الفقير وعِرُّ الحَقيرِ)، وهي رحلةٌ صوفيةٌ بالأساس، قصد منها ذكر أخبار الصّوفية والأولياء وتدوين أخبارهم وكراماتهم ويقول في مقدّمة كتابه المحقّق: " فَإِنَّ الْفَقِيرَ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ، أَحْمَدُ بْنُ الْخَطِيبِ، وَفَقَّهَ اللَّهُ، وَلَطَفَ بِهِ قَالَ: رَغِبَ إِلَيَّ مِنْ يَكْرَمُ عَلَيَّ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِي فِي الدِّينِ فِي تَقْيِيدِ شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِ وَبِأَمْثَالِهِ الْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ بِقَسَنْطِينَةَ الْمَحْرُوسَةِ. فَحَرَكَنِي ذَلِكَ إِلَى ذِكْرِ هَذَا الشَّيْخِ وَالتَّعْرِيفِ بِهِ، وَمَا وَصَلَ إِلَيَّ مِنْ خَبْرِهِ وَنَسَبِهِ، مَعَ مَنَاسِبَةٍ جَلَبَتْهَا هُنَا بِسَبَبِهِ، قَاصِدًا فِي ذَلِكَ سَبِيلَ الْإِخْتِصَارِ، عَلَى الْعَادَةِ فِي ذِكْرِ الْأَمْثَالِ وَالْأَخْبَارِ، وَسَمَّيْتُ هَذَا التَّقْيِيدَ: أُنْسُ الْفَقِيرِ وَعِرُّ الْحَقِيرِ"²، كما اتَّخَذَ مِنْ مَرَابِعِ رِبَاطَاتِ الْمَغْرِبِ شَاهِدًا عَلَى لِقَائِهِ مَعَ الصَّوْفِيَةِ وَتَدْوِينِ أَخْبَارِهِمْ. لَقَدْ تَنَوَّعَتْ بِهَذَا الْعَرْضِ الْمُتَقَدِّمِ فَنُونَ الرِّحْلَةِ وَأَغْرَاضَهَا وَأَيْضًا بَنِيَّتَهَا اللَّغْوِيَّةَ.

1- المصدر السابق، ص 417.

2- عبّاس أحمد الخطيب الشَّهير بابن قنْفذ القسطنطيني: أُنسُ الفقير وعِرُّ الحَقيرِ، تح: محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص 1 و 2 .

6. الكآبة القصصية (المقامات):

المقامة جنسٌ سرديٌّ ظهر في وقت متأخر مقارنة مع فنون النثر العربيّ المعروفة، وتُجدر الإشارة إلى أنّ كتب المقامات الأولى المنسوبة إلى "بديع الزّمان الهمداني" و"الحريري" لم تذكر سببا محدداً يُعلّل تسميتها بالمقامة، لذلك يُمكن أن نقارب مفهومها لغويّاً من خلال المعاجم فنجد أنّ: "المقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس" ¹ ، ومنه قولٌ لبدي بن ربيعة:

أبكي أبا الحزّاز يومَ مقامة ... لمناخ أضيافٍ ومأوى مُقترٍ ²

ومنه أيضاً بيت "لسلامة بن جندل" يُشير إلى أنّ المقامة هي المكان أو النادي الذي يجتمع فيه الناس:

يوماًنِ يومٍ مقاماتٍ وأنديّةٍ ... ويومٍ سيرٍ إلى الأعداءِ تأويبٍ ³

ونستشفّ من خلال ما تقدّم أنّ المقامة في مدلولها اللّغوي تعني المكان الذي يجتمع فيه الناس، فيكون مثل النادي أو السوق. أمّا اصطلاحاً فتعني: " حديثٌ يلقي على جماعة من الناس إمّا بغرض النّصح والإرشاد، وإما بغرض الثّقافة العامّة والتسوّل، ولم تلتزم شكلاً فنياً محدداً، وكلّ ما يميّزها أنّها حديثٌ ذو نزعة وعظيمة

1- ابن منظور: لسان العرب، [باب الميم، فصل القاف] ج12، ص 498.

2- لبدي بن ربيعة بن مالك: ديوان لبدي بن ربيعة العامري، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط1، 2004، ص 48.

3 - أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي: غريب القرآن في شعر العرب «مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس وعن أبيه»، (د.ط.ت.ش)، ص 40.

أو ثقافية يُلقى على مجموعة من الناس¹، أما عن ظهورها؛ فالمتفق عليه هو المشرق العربي زمانا ومكانا مع "بديع الزمان الهمداني" وسميت مقاماته بـ "المقامات البديعية"، وتُصنّفُ المقامة ضمن الأدب الاجتماعي الذي يهدف إلى نقد تصرفات طبقة من المجتمع، لذلك تُعدُّ نثرا فنيا مختلفا.

أما المقامة في المغرب فقد بدأ ظهورها منذ العصر الأندلسي، فكان منها: مقامات ابن شرف، وابن شهيد الأندلسي، ومحمد بن مالك القرطبي، وابن محرز الوهراني" أبرز مقامي القرن السادس الهجريّ و"ابن أبي حجلة التلساني" (ت767هـ) ، وفي شأن "ابن محرز الوهراني" يقول أصحاب الطبقات: "رُكن الدين الوهراني محمد بن محرز أبو عبد الله المعروف برُكن الدين الوهراني وقيل جمال الدين أحد ظرفاء العالم وأدبائهم، قدم من المغرب إلى مصر وهو يدعي الإنشاء فرأى الفاضل والعماد وتلك الحلبة فعلم أنه ليس من طبقتهم فسلك ذلك المنهج الحلو والأتمودج الظريف وعمل المنام المشهور وله ديوان ترسل، قدم دمشق وأقام بها مدة وبها توفي سنة خمس وسبعين وخمس مائة ووهران مدينة كبيرة وبينها وبين تلمسان يومان بنيت سنة تسعين ومائتين والمنام الذي عمله سلك فيه مسلك أبي العلاء المعري في رسالة الغفران لكنه

1- يوسف نور عوض: فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1979،

الطف مقصدًا وأعذب عبارة¹، وله المنام الكبير الذي خطَّ فيه عدّة مقامات لبدان زارها، ومنها المقامة التي زار فيها بغداد وفيها يقول: لما تعذّرت مآربي، ألقيتُ حبلي على غاربي، وجعلتُ مذهبات الشعر بضاعتي، ومن أخلاف الأدب رضاعتي، فما مررت بأمير إلاّ حلت ساحتَه، واستمرت راحته، ولا وزير إلاّ قرعت بابَه، وطلبتُ ثوابه، ولا بقاضٍ إلاّ أخذتُ سيبه وأفرغت جيبه. فتقلّبتُ بي الأعصار، وتقاذفت بي الأمصار، حتى قربت من العراق، وسمّيت من الفراق...²، وفضلا عن هذه السّياحة إلاّ أنّ مقاماته أخذت طابعا هزليّا ينتقد الحكّام وسياساتهم، إذ يقول حين سُئل عن حال مصر مصر في هذه المقامة: "عجوزٌ محتالة، وطفلةٌ محتالة، وكاعبٌ فتانة، وغادةٌ مجّانة

تَفَانِي الرِّجَالِ عَلَى حَبِّهَا** فَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ

ربّاهَا السُّلْطَانِ فِي المَجُورِ، بَيْنَ الفَسْقِ وَالفَجُورِ، حَتَّى إِذَا هَرَمْتَ سَعُودَهَا، وَذَوَى عُودَهَا، رُمِيتُ بِالرُّوَاعِدِ، فَأَتَى اللهُ بِنِيَانِهِم مِّنَ القَوَاعِدِ³، وَإِلَى جَانِبِ هَذِهِ المَقَامَاتِ، نَجْدُ المَنَامِ الكَبِيرِ الَّذِي نَظَمَ فِيهِ عَلِي مَنوَالُ أَبِي عِلَاءِ المَعْرِيِّ إِذْ قَابَلَ فِي مَنَامِهِ هَذَا شَخْصِيَّاتٍ تَارِيخِيَّةٍ تُوْفِيَتْ بَعْدَهُ، وَشَاهَدَ مَصَائِرَ، وَالوَاقِعَ بَعْيُونَ الخِيَالَ،

1-صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصّفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، ج4، ص 273، 274.

2- ركن الدين بن محرز الوهراني: منامات الوهراني ومقاماته، ورسائله، تح: إبراهيم شعلان، ومحمد نغش، منشورات الجمل، ط1، 1998، ص1.

3 - المصدر نفسه، ص4.

وعبر عن الاستيقاظ من هذا الحلم بقوله: فلما انتهى إلينا صاح بنا صيحة عظيمة هائلة أخرجتني من جميع ما كنت فيه، فوقعت من على سريري، فانتبعت من نومي خائفاً مدعوراً، ولذّة ذلك الماء في في، وطنين الصيحة في أذني، ورعب الوقعة في قلبي إلى يوم يُنفخُ في الصّور"¹، والمطلع على مقامات ومناجات الوهراني يلاحظ اتباعه لنسق أسلوبه اشتمل على قصر العبارة، والسجع "ولقد جمع الوهراني في هذا المنام ألواناً من الأدب والمزاح، افتتحه بديباجة رسالة من قبيل الرسائل السلطانية المبالغة في التكلف والتودّد، تضمنت في بدايتها أبياتاً من الشّعر وصف فيها فرحة الخادم باستقبال رسالة شيخه الحافظ العليمي"².

لـ"أبي حجة التلمساني" (ت676هـ) مقامات مُحققة في تصانيف مختلفة، وهو الأديب والصّوفي، والشاعر الذي نظم في مختلف صنوف العلم، وقيل فيه: "كان أغرب من زرقاء اليمامة، وأعجب إذا ركب بغلته وزرزوره من أبي دلّامة، الأديب الذي كان حجة العرب، والنّاثر الذي كان بنسبته إلى الطيور محرك المناطق، وإلى الشّعر صنّاجة الأدب، والنّاظم الذي كان إذا أنشد مقاطيعه في التّشبيب فاق على المواويل ذوات الطّرب، وشيخ الصّوفية الذي كانت لا عجب إذا كانت له المقامات الموصوفة"³، وقد اشتهر بمقامات عدة منها المقامة الزعفرانية

1 - المصدر السابق، ص60.

2- بسطي عفاف، بن منصور آمنة: الأجناس الأدبية في كتابات الوهراني، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / ج وهران 02 / المجلد 09 ع 02 / خاص / 16 فيفري 2020، ص499.

3 - أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج14، ص276.

عن أبي الريّاش التي قال فيها: " فاعتنقته لدى السّلام، وقلتُ: ما وراءك يا عصامُ؟
فقد بلغنا أنّ النيلَ تزايد دفعه، وأدّى إلى الضّرر نفعه، فقال: خذ العفو، ولا تُكدر
بذكر النيل الصفو، فقد امتزج بالمُعصرات تُجأه، وأعي طيب الغيطانِ علاجه
وَشَرَقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ *** وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرَبُ
فقلتُ: فما فعل النُّعيرُ، بجزيرة الطير؟ قال: لم يبقَ بها هاتِفٌ يُبشِّرُ بالصباحِ،
ولا ساعٍ يسعى برجلٍ ولا طائرٍ يطير بجناحٍ، إلا اتخذ نفقا في الأرض أو سلما في
السماء، أو أوى إلى جبل يعصمه من الماء...¹ فموضوع هذه المقامة عن فيضان
النيل وأضراره على ما جاوره من المناطق المحاذية له، ويحتدي فيها بنفس بناء
المقامة الكلاسيكية من حيث: وجود شخصية يتحاور معها على نمط المقامات
الهمدانية، وقصر الجمل، وتداخل الأجناس من شعر، ومثل وحكمة، وسخرية. وله
مقامات أخرى بعضها لا يزال مخطوطا، مثل: مقامة في وصف المنازل من دمشق
إلى القاهرة، ومقامة عند إبطال عيد الشهيد، ومقامة في خانكاه شيخو، المقامة
الإسكندرانية: ألفها بمناسبة وقعة الإسكندرية التي كانت أوائل سنة
767 هـ 1365 م، حيث أغار القبارصة على الإسكندرية ونحروها وقتلوا
وأسروا أهلها، وكان ذلك في فترة حكم السلطان الأشرف شعبان بن قالوون
(ت 776 هـ 1377 م) المقامة الغربانية: نسبة إلى الغربان، وهي نوع من
المراكب البحرية كانت تستعمل في الغزو، وقد ألفها بعد وقعة الإسكندرية

1- المصدر السابق، ص 276.

المذكورة، أي في سنة 767 هـ 1365 م، وتكلم فيها عن عزم الأمير يلبغا الأتابك (ت 768 هـ 1366 م / 48) على غزو القبارصة، والثار لهذه الواقعة¹ وغير هذا من المقامات التي عبرت عن تفاعل اجتماعي، وأدبي اتصف به أدباء الجزائر، فهم لم يكونوا بمنأى عن الحراك العلمي في مختلف الأزمنة.

7. الخطب.

تعدُّ الخطبة فناً نثرياً، يعمل على إثراء التواصل بين الخطيب والسماع، "الخطبة لغة: مصدرُ الخطيبِ، وخطبَ الخطيبُ على المنبر، واختطَبَ يخطُبُ خطابةً، واسمُ الكلام: الخطبة... الجوهري: خطبتُ على المنبر خطبةً، بالضم، وخطبتُ المرأة خطبةً، بالكسر، واختطب فيهما."² من خلال هذه الاشتقاقات اللغوية نلاحظُ أنَّ الخطابة ارتبطت بالإلقاء والمنابر، فهي فنٌّ يعتمد على الوجاهة والإلقاء. وأضاف بعضهم في خصائصها: " وذهب أبو إسحق إلى أنَّ الخطبة عند العرب: الكلامُ المنثور، المسجّع، ونحوه... والخطبة مثل الرسالة، التي لها أولٌ وآخر"³، أما الخطابة اصطلاحاً: فهي فنُّ نثريٌّ متأصلٌ في الأدب العربي، اعتمده خطباء العصر الجاهلي في مختلف مناسباتهم، وكانت الخطاب الرسمي لهم الذي يبرزون

1- قهلوز عبد القادر: ابن أبي حجة التلساني وما بقي من مقاماته، مجلة: دفاتر البحوث العلمية العدد المجلد الرابع، العدد الثاني، 2016-12-18، <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/113034>، ص 239، 240.

2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج1، [باب الباء، فصل الخاء]، ص: 360، 361.

- نفسه الصفحة نفسها.³

فيها وجودهم، متمسكين في ذلك بتقاليد خاصة بهذا الفن الثري العريق،
فيتخيرون له حسن العبارة، وقوة اللغة، ونبرة الصوت القوية.

لقد أدت الظروف السياسية إلى تفعيل هذا النوع الأدبي، كما عرفت أنواع
من الخطبة حسب المواضيع والضرورات والمناسبات، وقد كان الخطباء يتفننون
في إيجاد الأساليب للإقناع، ومن بين أهم الخطباء وخطبهم: "عقبة بن نافع
الفهري، (عهد الفاتحين): الذي خاطب السكان يوم الفتح قائلاً:

"إن أشرافكم وخياركم الذي رضي الله عنهم وأنزل فيهم كتابه، بايعوا الرسول بيعة
الرضوان على قتال من كفر بالله إلى يوم القيامة، وهم أشرافكم والسابقون منكم
إلى البيعة، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة. وأنتم اليوم في دار
الغربة، وإنما بايعتم رب العالمين، وقد نظر إليكم في مكانكم هذا، ولم تبلغوا هذه
البلاد إلا طلباً لرضاه وإعزازاً لدينه. فأبشروا! فكلما كثر العدو كان أخزى لهم
وأذل، إن شاء الله. وربكم - عز وجل - لا يسلمكم فلقوهم بقلوب صادقة، فإن الله
- عز وجل - جعلكم أولي بأسه الذي لا يردُّ على القوم المجرمين، فقاتلوهم قتالاً
شديداً"¹. وملاحظ أن الخطيب هنا جمع بين أساليب الترغيب والترهيب، والحجاج،
إضافة إلى استخدام اللفظ المناسب وتخيير إيقاعه وأثره في النفس، وهذا من صنع
الخطيب الماهر.

1- أبو بكر عبد الله المالكي: رياض النفوس في علماء القيروان وإفريقية، ص: 37.

✓ خطب الإمام أفلح بن عبد الوهّاب التّاهرتي: (عهد الرستمين)

عُرِف في عهد الرستمين شيوع فن الخطابة لحاجة الولاية إليه، بل كان الوسيلة الغالبة على تواصلهم، وأشهر من عُرِف بخطبه: الإمام أفلح بن عبد الوهّاب التّاهرتي، الذي أثرى ديوان الكتابة بخطبه المختلفة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم: أما بعد فالحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام، وأبقانا بعد تناسخ الأمم، حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطا شاهدة لنبيها بالتبليغ ، ومصداقة لجميع الأنبياء، وشاهدة على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء عليهم السلام إليهم منا من الله ورحمة. أرسل إلينا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ووعدته بالنصر على الأعداء وضمن له الفلج والغلبة ووعدته بالعصمة وقال له عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ فأدى عليه الصلاة والسلام ، ما أمر الله به، ونصح لأمته ودعا إلى سبيل ربه وجاهد عدوه، وغلظ على الكفار، ولان للمؤمنين، فكان لهم كما وصفه الله عز وجل رؤؤفا رحيفا، حتى انقضت مدته، وفيت أيامه واختار له ربه ما عنده، فقبضه محمود السعي مشكور العمل صلى الله عليه وسلم. فلم تبق خصلة من خصال الخير الدالة على الرشد، الداعية إلى النجاة إلا ودعا إليها وسنها أو فرضها أو أوجبها، ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة إلا وزجر عنها وأمر باجتنابها، رحمة من الله لعباده فله الحمد على ذلك كثيرا. ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه، والأخذ بأمره،

والإنتهاء عما نهى عنه وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم والقمع للظالمين، لكي لا تقوم للشيطان دعوة، ولا تثبت لأهل حزبه قدم، ولا ينفذ لهم حكم، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الدين، وإعزازة هو الجهاد وتأدية الحقوق الواجبة لله تعالى. فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم والقيام له بحقه، فيما وافق هواكم أو خالفه وتقربوا إلى الله بالقيام بطاعته، وطلب مرضاته، لتناولوا بذلك ما وعده به من جزيل الثواب وكرم المآب.

✓ للإمام أبي حاتم يوسف (ت 294-281 هـ) (عهد الرستمين): خطبة بديعية

كان يخطب بها الخوارج الاباضية في عهده أيام الجمعة وفيها يقول: "الحمد لله الذي ابتداء الخلق بنعمائه، وتغمدهم جميعا بحسن بلائه، ولا يشتمل عليه زمان ولا يحيط به مكان، خلق الاماكن والأزمان " ثم استوى إلى السماء وهي الدخان فقال لها وللأرض اتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين "فقدرها أحسن تقدير، واخترعها من غير نظير، لم يرفعها بأعمدة تدرك بالمعينة، ولم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعاونة، وزينها للناظرين، وجعل فيها رجوما للشياطين فتبارك الله أحسن الخالقين، جعل القرآن إماما للمتقين وهدى للمؤمنين، وملجأ للمتنازعين، وحكما بين المتخالفين، ودعا أولياءه المؤمنين إلى إتباع تنزيله وأمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع إلى قول رسوله، فقال الله

عز وجل " يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" ¹.
وملاحظ الحفاظ على بناء الخطبة من المقدمة إلى العرض فالخاتمة، مع التزام
قصر الجمل وإيقاعها. كما حضر الاقتباس من القرآن الكريم بغية الحجاج والإقناع
بما يُقال.

✓ خطبة التحكيم لأحمد بن منصور (عهد الرستمين): وهي من خطب الجمعة التي
كان الأئمة يخطبون بها يوم الجمعة ويعرضون فيها أمور الحكم من منظور ديني،
ومثال هذا خطبة "أحمد بن منصور" في يوم الجمعة: "الحمد لله نستعينه، ونستغفره،
ونؤمن به ونستهديه ونستنصره ونبرأ من الحول والقوى إليه ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا
هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبد الله
ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
الله ربنا ومحمد نبينا والإسلام ديننا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا راضين بجلاله
حلاله وبحرامه حراما لا تبغى عنه بدلا ولا عنه حولا ولا نشترى به ثمنا، لا

1- الباروني: رياض النفوس، ص 287، 288.

حكم إلا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام، وخلفا لأهل البديع، لا حكم إلا لله خلقا ونبذا وفراقا لجميع أعداء الله...¹ فطابعُ الوعظ، والإرشاد، وتذكير الناس بأيام الله هو الموضوع الغالب على هذه الأنواع من الخطب، غير أن لخطب الجمعة مميزات أخرى تتنوع بين الطول وكثرة الاقتباس من القرآن الكريم.

خطبة الاستنجد ببعض أمراء العرب لأبي عبد الله المعروف بابن دفرير (القرن 5 وأوائل 6هـ أحد كتّاب الدولة الموحدية): هو عبد الله محمد المعروف (بابن دفرير) وهو أديب من الكتّاب البلغاء ولا يُعرف من حياة هذا الأديب شيئاً سوى أنّه كان من كتّاب الدولة الحمّاديّة المنصرفين في الكتابة السلطانية، وهذا نصّ رسالة بعث بها السلطان يحيى بن عبد العزيز الحمّادي إلى بعض أمراء العرب (من بني هلال الذين حلوا بالمملكة الحمّادية) يستنجد به بعد أن فرّ من بجاية أمام عسكر عبد المؤمن يقول فيها: كتّابنا ونحن نحمد الله على ما شاء الله وسر رضي بالقسم وتسليماً للقدر وتعويلاً على جزائه الذي يجزي به من شكر ونصلي على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بسحر، وبعد: فإنّه لما أراد الله أن يقع ما وقع لقبح آثار من خان في دولتنا، ضبع استفزّ أهل ولاتنا الشنآن وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا

1- عبد الله الباروني النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، (د.ط.ت.ش)، ج2، ص:

عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون ورموا من حيث لا ينصرون، فكأن في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفى من داء بداء، ويرد وبال أمرهم إليهم فعند ذلك اعتزلنا محلة للفتنة، وملنا إلى مظنة الأمانة وبعثنا في أحياء هلال نستجد منهم من أهل النجدة ونستنفر من كآ نراه اللهم عدة، وأنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر وتنثني عليهم الخناصر"¹، ولهذا الخطبة مميزات أسلوبية وخطابية وردت مناسبة لخطب ذلك العصر من تلوين في السجع والجناس "حتى يلذ الأسماع حين تصغى إليه والألسنة حين تنطق به، مع العناية باصطفاء الألفاظ والملاءمة بين الكلمات"².

وقد عُرِفَ فيمن نزل في بجاية خطباء كثر أمتازوا بالبلاغة منهم من ذكره الغبريني في عنوان الدراية، وكان منهم: "الشيخ الفقيه الخطيب، القاضي العدل المرضي، المحدث الرواية المتقن، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أشكورنة الأزدي (580هـ / ت1184هـ)، من أهل مرسية يُعرف بابن برطلة. وسكن بجاية.. كان خطيباً بمرسية، وأنه لم يعد مدة ولايته الخطابة بها خطبة واحدة، وكان يخطب كل جمعة بخطبة من إنشائه"³.

1- عماد الدين الاصفهاني الكاتب: خريدة القصر وجريدة العصر، ج1- ص180.

2- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، ج10، ص230.

3- الغبريني: عنوان الدراية، ص: 322.



✓ الخطبُ الدينية:

✓ خطبُ الجمعة:

تعدُّ خطبُ الجمعة أهمَّ عدَّة الأئمَّة الحاكمين على مرِّ العصر، لأنَّها تعملُ على لَمَّ شَمَلِ المسلمين، وشَحْذِ هممهم، والتأثير فيهم، واشتهر هذا النوع من الخطب في عهد الرستميِّين الذين أسَّسوا لأوَّل إمارة في تاريخ الجزائر، وكان من هؤلاء الخطباء: أولهم: ابن أبي إدريس، والثاني: أحمد التَّيه، والثالث: أبو العباس بن فتحون، والرابع عثمان بن الصِّفَّار، والخامس أحمد بن منصور، وكان ممَّا خطب به هذا الأخير: "الحمدُ لله الذي ابتداء الخلق بنعمائه، وتعمدَّهم جميعا بحسن بلائه، فوفَّق كلَّ امرئٍ منهم في صباه، إلى ما يحتاج الله من غذائه، وسخرَّ له من يكلؤه إلى وقت استغنائه، ثمَّ احتجَّ على من بلغ منهم بالآئه، وأنذرهم بأنبيائه الذي لم يزل بصفاته وأسمائه، ولا يشمل عليه زمان، ولا يحيط به مكان، خلق الأماكن والأزمان ثمَّ استوى إلى السَّماء وهي دخان، فقال لها وللأرض ايتيا طوعا أو كرها فقالتا أتينا طائعين، فقدَّرها أحسن تقدير، واخترعها من غير نظير، ولم يرفعها بعمدٍ تُدرِكُ بالمعينة، ولم يستعن عليها بأحدٍ استجارا عن الشركة والمُعانة، وزينها للناظرين.."¹، والمتأمل لأسلوب هذه الخطبة يلاحظ جلياً الاقتباس من القرآن الكريم، وقصر العبارة محاكاة للفاصلة القرآنية، وهذا كلُّه من أجل التأثير في نفوس السامعين الذين يعتبرون القرآن الكريم أهمَّ خطاب مُقدَّس يجب احترامه " إن

1- عبد الله الباروني النَّفوسي: الأزهار الرِّياضية في أئمَّة وملوك الإباضية، ص: 287، 288.

من مهام الخطيب أن يعمل على بعث روح العزة في الأمة، وأن المستقبل لديها، وأن الرفعة لها، والكرامة والتمكين في الأرض ما استمسكت بهذا الدين، واعتصمت بجبل الله المتين، وهذا ليس ادعاء يدعيه، ولا وهما يخدر به عقول الناس وأفكارهم بل هو الحق الذي لا ريب فيه، وهو ما شهد به كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم، ونطقت به حوادث التاريخ، وشاهد السنن الإلهية¹ تُؤدّي الخطب الدينية دوراً مهماً في تقويم الأخلاق وإرشاد الناس، بل تُعدّ الواسطة بين الحاكم ورعيته، لأن الحاكم كان بمثابة الإمام والرشد، به يستقيم الأمر.

خصائص الخطب:

من خلال ما تقدم من نماذج خطابية مختلفة، يمكن أن نستشف مجموعة من الخصائص منها:

- الأثر الإسلامي الذي ظهر جلياً من خلال الاقتباس من القرآن والحديث الشريف، وهذا الأمر يضيف على الخطب مرجعية قوية تساعد على الإقناع.

- اعتماد أسلوب الإقناع من خلال التوكيدات والأساليب الإنشائية الطلّبية، واستخدام الجرس الموسيقي.

1- عبد الغني أحمد جبر مزهر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1422هـ، ص 76.

- إبراز الموضوع وتوضيحه في الخطب، مما يجعل المستمع دائم الحضور أثناء الاستماع إلى الخطب.
- اتباع منهجية في الخطب تبدأ بالبسملة والصلاة على النبي الكريم، ثم مقدمة وعرض وخاتمة.

أهداف الخطب:

- الخطبة فنّ نثري تواصلي وتربويّ إصلاحيّ يهدّب النفوس، وتنشر الفضائل بين الناس، ومن أهم أهدافها:
- التذكير بأهمية الشرائع والدينية وقداستها.
- تيسير التواصل بين مختلف طوائف المجتمع.
- تغرس الخطبة في نفوس سامعيها القدوة الحسنة وحسن الامثال لما تريد الخطبة تبليغه.



8- الوصايا

الوصايا فنُّ نثريٌّ عربيٌّ قديمٌ عُرِفَ منذ العصر الجاهلي، وفيه يتم نقل وصية الموصي إلى من يتركهم بعده، وقد تكون توصي الوصية بهبة مادية، أو تكون عبارة عن نقل تجارب الحياة، وأشهر الكتب التي تعرضت لفن الوصايا نجد: " (تاريخ العرب الأولية) للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت 216)، وفي هذا الكتاب وصايا قحطان والملوك من أبناء هود. كتَّاب (الوصايا) لدعبل بن علي الخزاعي (ت: 246هـ)، وكتَّاب الوصايا لأبي حاتم السجستاني (ت 248هـ)، وكتَّاب (وصايا الملوك وأبناء الملوك) للوشاء¹، وعُرِفَ عن العرب الوصايا التربوية، والتعليمية التي تكون غايتها الوعظ والإرشاد. لذلك يُمكن القول عن هذا اللون النثري أنه إنساني لا يقتصر على النخبة من الأدباء، بل بإمكان كلٍّ من تأخذه الغيرة على أبنائه، أو أقربائه، أن يُبدع فيه.

من أهمّ الوصايا التي حفظها لنا الأدب الجزائري القديم، هي وصية من عهد الفاتحين لـ "عقبة بن نافع الفهري" لبنيه حين خروجه من القيروان إلى المغرب، فجمع أولاده حوله يوصيهم بقوله: "يا بني، أوصيكم بثلاث خصال، فاحفظوها ولا تضيعوها: إياكم أن تملؤوا صدوركم بالشعر، فإنّ القرآن دليل على الله عزّ وجلّ، وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبّيب ويدلّكم على مكارم الأخلاق، ثمّ انتهوا عمّا وراءه، وأوصيكم ألا تداينوا ولو لبستم العباء، فإنّ الدين

1- غازي طليمات، غازي الأشقر: الأدب الجاهلي: قضاياها، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الإرشاد، حمص، ط1، 1992، ص560.

ذُلُّ بالنَّهارِ وهمُّ بالليل، فدعوه، تسلّم لكم أقداركم وأعراضكم، وتبقَ لكم الحرمةُ في الناس ما بقيتم، ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين، فيجهلوكم دينَ الله، ويُفرِّقوا بينكم وبين الله تعالى، ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والاحتياط فهو أسلم لكم، ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا، ثم قال: "عليكم سلام الله! وأراكم لا تروني بعد يومكم هذا"¹ وهذه وصية قدمت للأبناء كل ما يقوم عليه أمر الدين والدنيا، فحققت بذلك الهدف التربوي والأخلاقي المنشود، في أسلوب امتزج فيه عرض الحقائق والترغيب فيها بذكر الحجج الدامغة.

تُعتبرُ وصيةُ أبي "حمو موسى الزياني الثاني" أمثلاً وثيقة وصلتنا عن العصر الزياني ووسّمت بـ: واسطة السلوك في سياسة الملوك" وهي عبارة عن وصايا لابنه، الخليفة من بعده حول كيفية إدارة الحكم بطريقة رشيدة، وفي مستهلها يقول: " فلها كانت الأولاد قطع الأجداد وعمادُ الظهور، وشفاء الصدور، وثمار القلوب، وجلاء الكروب، وأفضل بغية وأجمل مطلوب، وأخلص مُحِبِّ وأحسن محبوب، ودرة كل زين، وقرّة كل عين...وَجَبَ أن تكون الآباء لهم مثل السماء الظليلة، والشمس المنيرة والسحب المنيلة، يُتخفونهم بكل أدب وفضيلة، ويمنحونهم كلَّ فائدة جليلة"²، فنستشف من هنا أن دافع التأليف هو الحرص على المصلحة

1- عبد الله بن محمد المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء قيروان، وإفريقية وزهادهم، ونساکهم، وسير من أخبارهم، وفضائلهم، وأوصافهم، تح: بشير البكوش، مرا: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994م، ج1، ص 35.

2- أبو حمو موسى الزياني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، ص 3.

الشخصية والعامة كي يستقيم حال الرعية، فوصية أبو حمو الزياني كانت نابعة من تجربة في الحكم، وسياسة للرعية، فكانت هي بمثابة خلاصة تجارب الحياة والسياسة وقسم مؤلف الوصية الكتاب إلى عدة أبواب منها على سبيل المثال:

الباب الأول: الوصايا والأدب والحكم التي تُرشدُ إلى طريق الصواب.

الفصل الأول: توصية تُرشدُ إلى الاتّصاف بالعدل والتحلي بالفضل.

الفصل الثاني: توصية تُرشدُ إلى تغليب العقل على الهوى، وتحضُّ على

ملازمة التقوى.

الفصل الثالث: توصية تُرشدُ إلى حفظ المال لبلوغ الغرض والمآل.

فكما هو مبين؛ ذكر الوصايا في مطلع كل باب وفصل إشارة من مؤلفها على حرصه على التبليغ والوعظ، والإرشاد، وهذا هو الغرض الواضح من الوصايا، وقد جمع أبو حمو الزياني بين مختلف العلوم فكان موسوعياً يحظى بنصيب وافر من نظم الشعر، والفقه، والقضاء، وتسيير الحكم، لذلك وردت وصيته تولىفة متكاملة مرَّ من خلاله تجاربه في سياسة الملك لابنه.

ورد لفظ العقل كثيرا في الوصية دليل على ضرورة إعماله في تسيير شؤون

الرعية "اعلم يا بني أنّ العقل راحة النفس، فاجعل عقلك راحة نفسك، وجالب أنسك، واجعل العقل ميزان رأيك، واعلم أنّ الدنيا متقلبة فلا تغتر بغرورها، ولا تطمئن لسرورها، ولا تفرح لها إذا أقبلت، ولا تحزن عليها إذا أدبرت. يا بني، إنّ

الاغترار بالدنيا باطل، فاركب لها جواد الحق¹، كما ورد لفظ (العدل) كثيرا في وصيته، إشارة منه إلى أنه ركيزة من ركائز الملك العادل كما ورد في قوله: "اعلم يا بني، أن العدل سراج الدولة يريح الظلم، فإن ريح الظلم إذا عصفت، قصفت. وريح العدل إذا هبت، ربت، ومن شروط الإمارة العدل بالأحكام، والرفق بالأنام"²، وأكد على أن تطبيق العدل يكون بدءا بتطبيقه على أهل الملك وحاشيته، ثم على العامة من الرعية. كما أوصى بضرورة الرق بالعباد. وفي معرض وصيته، حرص أبو حمو موسى الزياني على الاستشهاد بالآيات، والأحاديث، وقصص الأمم السابقة للاعتبار منهم.

لا يمكن حصر وصايا أبي حمو موسى الزياني في أسطر قليلة، لكن مجرد عرضها يحيلُ إلى القيمة العلمية، والفكرية، والأدبية التي قدمتها هذه الوصايا، ويكفي أنها صادرة من سلطان جمع بين الشريعة والملك.

1- المصدر السابق ، ص 7.

2- المصدر نفسه ، ص 18.

9- الحكم:

الحكمة فنّ نثريّ قديم، عُرف قبل الإسلام وعلى مرّ العصور اللاحقة، لأنه فنّ إنساني بالدرجة الأولى "الحكمة قولٌ موجز صائب يصدرُ عن عقل وتجربة وخبرة بالحياة ويتضمن حكماً مسلماً في أمر بخير أو نهي بشر، وقد كُثرت الحكم والحكماء في الجاهلية، فكان لكل قبيلة حكيم تفتنح إليه في الشدائد والمعضلات، والمنافرات، والخصومات. والحكم من البلاغة بمكان كبير لإيجازها ووضوحها وفصاحتها، ودقة معناها، وجلال وصفها"¹، ومن أشهر الحكماء في العصر الجاهلي، وما أكثرهم! نجد: "الأكثم بن صيفي"، "الأصبع العدواني"، "عامر بن الظرب" وغيرهم.

دوّن النثر الجزائري القديم أضرباً من الحكمة، كان أشهر قائلها "أبو مدين الغوث التلمساني"، وله مجموعة حكم سُميت بالحكم الغوثية، ولقيت هذه الحكم شروحا كثيرة منها شرح "العلامة أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي النقشبندي" و "المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية للشيخ "أحمد بن مصطفى العلاوي"، وهي حكم صوفية بالأساس بالغة العمق والمعنى.

1- عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992،

من جملة حكم الشيخ أبي مدين قوله: "إن القرآن نزل وتنزل، فالنزل قد مضى، والتنزل باق إلى يوم القيامة¹، إن هذه الحكمة تشير إلى الفرق بين مصطلحي التنزل والتنزيل، وهما مصطلحان مهمان لضبط المفاهيم الأساسية لفهم القرآن الكريم وطبيعته، والشارح يضيف عليها المعنى الصوفي في قوله: "إن السالك إذا زكى ظاهره وباطنه، وصفى قلبه من الأغيار بإلقاء النور المحمدي، انجلت مرآة قلبه من الكدورات الكونية، وانحى عنها صدأ النقوش النفسية، فيتأهل حينئذ القلب لتنزل الفيوض الربانية، ويصير أهلاً للمشاهدة والمكاملة، فيفهم من القرآن فهماً لا يفهم غيره، وينزل عليه معنى يخصه، ويعمُّ سواه خيره"²، فالمعنى عند الصوفية يأخذ أبعاداً في اتجاهات عميقة، لأنه يرى بعين الباطن، وعين الحق.

تأخذ حكم الشيخ "أبي مدين" بعداً فلسفياً، وهي بذلك تختلف عن الحكم العادية الماثورة مثل قوله: "الحق تعالى مُستبدُّ الوجود مُستمدُّ المادة من عين الوجود، فلو انقطعت المادة لانهدم الوجود: أي مُستقله، إذ كل موجود من الممكنات مُستمد من وجوده، وهو المُستقل بوجوده"³، ويمكن لدارس هذه الحكم أن يجد فيها تنوعاً، وثراءً، وعمقاً نابع من طبيعة التجربة الروحية للشيخ أبي مدين التلساني.

1 - أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي النقشبندي: شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ أبي مدين التلساني المغربي، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية، القاهرة، (د.ط.ت.ش)، ص 44.

2 - المصدر السابق، ص 44.

3 - المصدر نفسه، 46.

خاتمة:

إن المطلع على التراث الأدبي الجزائري في عصوره الأولى يخرج بجملته نتائج منها:

1. ساهم موقع المغرب الأوسط (الجزائر قديما) على حياة أدبية لم تقل ثراء عن نظيرتها في المشرق.

2. اتسمت فنون الشعر الجزائري القديم بالاتباع فلم يظهر فيها تجديد على مستوى الشكل والمضمون.

3. كانت أغراض الشعر الجزائري القديم محافظة وذات نزعة دينية تترجم المرجعية الدينية.

4. مثل النثر القديم ضفة موازية إذ أدى دورا مهما في التواصل.

5. تنوع النثر الجزائري القديم وشهد غزارة في المواضيع والفنون.

6. إن الأدب الجزائري القديم كان فاعلا بفضل الأدياء، والأعلام، وتشجيع الأمراء والولاة فكان أدبا فاعلا ومتماشيا مع الأغراض الحضارية آنذاك.

فهرس مكنبة البحت

المصادر:

1. (ابن الأحمر): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هدى سلامة، مكتبة الثقافة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1، 2001م.
2. (ابن الخطيب) لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2.
3. (ابن الخطيب) لسان الدين: روضة التعريف بالحبّ الشريف، تح: عبد القادر أحمد عطا عبد الستار، دار الفكر العربي (د.ط.ت.ش).
4. (ابن حمّاد) بكر التّاهرتي: الدرّ الوقّاد من شعر بكر بن حمّاد (الديوان)، تح: محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية بمستغانم، ط1، 1966.
5. (ابن خلدون) أبو زكريا يحيى: بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: بوزيان الدراجي، الجزائر، 2007، ج2.
6. (ابن خلدون): المقدّمة، تح: محمد الاسكندراني، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي (د.ط) 2012.
7. (ابن عاشور) محمّد الطّاهر: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، تح: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 2015.

8. (أبو العباس) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي: غريب القرآن في شعر العرب «مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس وعن أبيه»، (د.ط.ت.ش).

9. (الباروني) النفوسي عبد الله: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، (د.ط.ت.ش)، ج 2.

10. (البجائي) أبو عصيدة: رسالة الغريب إلى الحبيب، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993.

11. (البكري) عبد العزيز بن محمد: الممالك والمسالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ج 2.

12. (التلمساني) أبو مدين شعيب: الديوان، تح: عبد القادر سعود، سليمان القرشي، كتاب، ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1،

13. (التلمساني) عفيف الدين: الديوان، تح: عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، مكتبة ناشرون، لبنان، ط 1، 1434هـ-2013م.

14. (التنكي) أحمد بابا: نيل الابتهاج من تطريز الديباج، منشورات دار الكتب، طرابلس، ط 2، 2000.

15. (الثعالبي) عبد العزيز: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية

الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن (إدريس) ميلاد محمد، دار الغرب الإسلامي،

دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990هـ، 1410هـ.

16. (الجيلي) عبد الكريم: الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، أبو عبد

الرحمن صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ،



1997.

17. (الجيلي) عبد الكريم: المناظر الإلهية، تح: نجاح محمود الغنيمي، دار

المنار، (د.ط.ت.ش).

18. (الخطيب) محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا

أبي الحسن، تح: ماريا خيسو سبيغيرا، تقديم: محمود بوعباد، المكتبة الوطنية

الجزائرية، 1980.

19. (الصفدي) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تح:

أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، ج4.

20. (العامري) لبيد بن ربيعة بن مالك: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تح: حمدو

طماس، دار المعرفة، ط1، 2004.

21. (العروسي القسنطيني) بركات بن أحمد: وسيلة المتوسّلين بفضل الصّلاة على

سيّد المرسلين، نشر: أحمد بن حفيظ بن الحاج قسوم الخرشبي
البيسكري (د.ط.ت.ش)، مطبعة تونس.

22. (الغبريني) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله: عنوان الدراية فيمن عُرف

من العلماء في المائة السابعة بجاية، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة،
بيروت، لبنان، ط2، 1979.

23. (القسنطيني) ابن قنفذ عباس أحمد الخطيب: أنسُ الفقير وعِرُّ الحَقير، تح:

محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

24. (القلقشندي): أبو العباس أحمد: صبحُ الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة،

ج14.

25. (القيرواني) ابن رشيق: العمدة في نقد الشعر وادبه ونقده، تح: محمد محيي

الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م، ج2.

26. (القيسي الثغري) محمد بن يوسف: الديوان، تح: نوار بوحلاسة، جامعة

منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2004.

27. (المالكي) عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء قيروان،

وأفريقية وزهادهم، ونسألكم، وسير من أخبارهم، وفضائلهم، وأوصافهم،

تح: بشير البكوش، مرا: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط2،

1994م، ج1.

28. (المراكشي) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: المحقق:

محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية

المتحدة، (د.ط)، ج1.

29. (المرسي) التجيبي أبو بحر صفوان بن إدريس: زاد المسافر وغرة محيا الأدب

السافر، تح: عبد القادر محداد، بيروت، 1939.

30. (المغيلي) التلمساني عبد الكريم الجزائري: رسالتان في أهل الذمة، رسالة

مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، ط1، 2001.

31. (المقري) أحمد بن التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح:

إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج7.

32. (النّفوسيّ) عبد الله البارونى: الأزهار الرّیاضیة فی أئمة وملوك الإباضیة،
ج2، (د.ط.ت.ش).

33. (النقشبندی) أحمد بن إبراهيم بن علان الصدیقی الشافعی: شرح الحكم
الغوثیة لشیخ الشیوخ أبی ممدین التلمسانی المغربی، تح: أحمد فرید المزیدی، دار
الآفاق العربیة، القاهرة، (د.ط.ت.ش).

34. (الوهرانی) ركن الدين بن محرز: منامات الوهرانی ومقاماته، ورسائله، تح:
إبراهیم شعلان، ومحمد نعش، منشورات الجمل، ط1.

35. (الوهرانی) محمد بن محرز: الوهرانی ورقعته عن مساجد دمشق، تح: صلاح
الدین المنجد، دمشق 1965.

36. (بديار) الحفناوي أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي: تعريف
الخلف برجال السلف، مطبعة بدير فونتانا الشرقية،
الجزائر، (د.ط) 1334هـ، 1906م، ج1.

37. (شاوش) محمد بن رمضان، الغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى مآثر أدباء
الجزائر، داوود بريكسي، حي الكيفان، تلمسان، ط2، 1426هـ / 2005م.

المراجع:

38. (ابن محمد الجيلاي) عبد الرحمن: تاريخ الجزائر، ط4، 1980م، ج2.
39. (التوزاني) خالد: الرحلة وفتنة التلقي بين الكتابة والتلقي، دار السويدي، الإمارات، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط1، 2017.
40. (الدراجي) بوزياني: أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للدراسات، تلمسان.
41. (الشوابكة) نوال عبد الرحمن: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري. ط1، 2008، وزارة الثقافة. المملكة الأردنية.
42. (الكّاني) نور الهدى: الأدب الصّوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحّدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
43. (بخيتي) عيسى: الرحلة في الأدب الجزائري الحديث، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2017. (عزب) محمد زينهم محمد: قيام وتطور الدولة الرّسمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2013.

44. (بونابي) الطّاهر: التّصوّف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين 12

و13 الميلاديين (نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي،

شركة دار الهدى للطباعة والنشر، مليلة (د.ط.ت.ش).

45. (حاجيات) عبد الحميد: أبو حمو موسى الزياتي حياته وآثاره، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، (د.ط.)، 1984.

46. (حبار) مختار: شعر أبو مدين شعيب بين الرؤيا والتشكيل، (د.ط.ت.ش)

47. (حسين محمد) فهم: أدب الرّحلات. (سلسلة عالم المعرفة) 138. المجلس

الوطني للثقافة الفنون. الكويت، 1989.

48. (حفناوي) عبد العظيم علي: الوصف في الشعر العربي، مطبعة مصطفى

الخلي، مصر، (د.ط.ت.ش) ج 1.

49. (خفاجي) عبد المنعم: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت،

ط 1، 1992.

50. (سرحان) هيثم: استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، نادي تراث

الإمارات، ط 1، 2012.

51. (سقال) سيد أحمد: سيدي أبو مدين شعيب نبذة من حياته ومقتطفات

من ديوانه وقصائده في ثنائه ومدحه، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر،



(د،ط)، 2011.

52. (شهاب أحمد) نهلة: عقبة بن نافع الفهري، دار الشؤون الثقافية العامة،

بغداد، 1989.

53. (ضيف) شوقي: الشعر وطوابعه الشعبيّة على مرّ العصور، دار المعارف،

ط2.

54. (ضيف) شوقي: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، (الجزائر،

المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان) دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1،

1990م.

55. (طليمات) غازي، غازي الأشقر: الأدب الجاهلي: قضاياها، أغراضه،

أعلامه، فنونه، دار الإرشاد، حمص، ط1، 1992.

56. (طمار) محمد: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

الجزائر، (د.ط.ت.ش)

57. (عتيق) عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة، بيروت
1976.

58. (عمراني) فاطمة: المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، مؤسسة المختار،
القاهرة، ط1، 2011.

59. (عوض) يوسف نور: فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم،
بيروت، لبنان، ط1، 1979.

60. (كليطو) عبد الفتاح: الحكاية والتأويل دراسات في السرد العربي، ط1،
دار توبقال، المغرب، 1988.

61. (محمود) عبد الحلیم: أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله، دار
المعارف، القاهرة.

62. (مزهر) عبد الغني أحمد جبر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، وزارة
الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ،
1422هـ.

63. (ناصر) إميل: أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، ط1،
1992.

المعاجم والقواميس وكتب الطبقات:

64. (ابن عمر الجزائري) بشير ضيف: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم

والحديث- نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول، مرا: عثمان بدري، دار ثالثة للنشر،

الجزائر، ط2، 2007م.

65. (أحمد مختار) عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب،

2008.

66. (الأنصاري) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. (د.ط.ت.ش).

لسان العرب. دار صادر. بيروت.

67. (الدرجيني) أبو العباس أحمد بن سعيد: طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم

طلاي، (د.ط.ت.ش)، ج2.

68. (الزيدي) السيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس،

ج24

69. (حمدي) أيمن: قاموس المصطلحات الصوفية-دراسة تراثية مع شرح

اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء، مكتبة عبده غريب،

القاهرة، (د.ط) 2000.

70. (نويهض) عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، لبنان، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1400هـ-1980م.

الأطاريح:

71. (القسنطيني) ابن خلّوف: ديوان جنى الجنّتين في مدح خير الفرقتين، تح:

العربي دحو، رسالة دكتوراه مخطوط، معهد الآداب، جامعة الجزائر، 1987.

72. (بوزوادة) حبيب: مرجعية الخطاب الشعري القديم في الجزائر، رسالة

دكتوراه تخصص: أدب جزائري قديم، جامعة وهران، 2011.

73. (عزوزي) عبد الصمد: أدب الرحالة الجزائريين في الخمسة الهجرية الثانية،

رسالة ماجستير مخطوط، إشراف: د. محمد زمري، جامعة تلمسان، 1424هـ-

2003.

74. (قراوزان) ليلي: جماليّة المشهد العرفاني عند محي الدين بن عربي، رسالة

مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في نظرية الأدب، وعلم الجمال، إشراف، محمد

زمري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان.

الدوريات

75. مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد1، 2004.

76. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (20) العدد (7) تموز 2013



77. مجلة الفضاء المغاربي، ماي 2016.

78. مجلة دراسات انسانية واجتماعية / ج وهران 02 / المجلد 09 ع 02 / خاص /

16 فيفري 2020.

79. مجلة دفاتر البحوث العلمية العدد المجلد الرابع، العدد الثاني، -12-2016

.18

80. مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد السابع، ماي،

.2008

المواقع الالكترونية:

81. موقع: مركز النظم للدراسات وخدمات البحث العلمي. <https://alnodom.com.sa/>



فهرس الموضوعات

| الصفحة | العنوان |
|--------|--|
| 4 | مقدمة |
| 9-5 | تعريف بلاد المغرب: مؤسساته وطرأته. |
| 12-11 | نشأة الشعر الجزائري القديم. |
| 13-12 | أغراض الشعر الكبرى في العصور السياسية المتعاقبة. |
| 18-14 | الشعر الوصفي |
| 21-19 | المدح السياسي |
| 26 -22 | الشعر الديني / الزهد |
| 27-26 | شعر الوعظ والإرشاد إلى مكارم الأخلاق |
| 28-27 | الشعر الصوفي |
| 31-28 | ظروف انتشار التصوف في المغرب الأوسط |
| 34-31 | شعر التضرع والمناجاة |
| 36-34 | شعر المديح النبوي |
| 37-36 | الشوقيات |
| 39-38 | التوسلات |
| 42-40 | غرض المولديات |
| 45-43 | الموشحات في الشعر الجزائري القديم |

| | |
|-------|--|
| 48-46 | ترجمات الأعلام والشعراء الجزائريين القدماء أبو مدين شعيب التلمساني |
| 49-47 | أبو حمو موسى الزياني الثاني |
| 51-49 | محمد بن يوسف القيسي المعروف بالثغري التلمساني |
| 52 | خصائص الشعر الجزائري القديم |
| 54 | نشأة النثر الجزائري القديم |
| 55 | فنون النثر الجزائري القديم |
| 59-56 | الكتابة الموضوعية (الرسائل الرسمية) |
| 63-60 | الرسائل الذاتية (الإخوانية) |
| 73-64 | الكتابة الوصفية (الرحلات) |
| 79-74 | الكتابة القصصية (المقامات) |
| 80-79 | الخطب |
| 84-81 | خطب العهد الرستمي (أفلح بن عبد الوهاب، الإمام أبو حاتم يوسف، أحمد بن منصور) |
| 84-83 | خطب العهد الموحي (ابن دفرير) |
| 87-86 | الخطب الدينية (خطب الجمعة) |
| 87 | خصائص الخطب |
| 88 | أهداف الخطب |
| 90-89 | الوصايا |
| 92-90 | وصية أبي "حمو موسى الزياني الثاني" |
| 94-93 | الحكم |

| | |
|---------|----------------|
| 95 | خاتمة |
| 109-96 | فهرس المرجع |
| 112-110 | فهرس الموضوعات |